



السنة الخامسة عشر المخلصية

السنة الخامسة عشرة

١٩٤٨



العدد السابع

تموز (يوليو)

المطبعة الخلاصية
قرب صيدا (لبنان)

صفحة

٤٨١	الاب اغناطيوس غطاس	صوت البابا
٤٨٩		اوزنام والمشكل الاجتماعي
٤٩٩		الحدث الديني تحليله النفسي
٥١٤	اليد حبيب سيوفي	الربان الفرنسيون في دمشق
٥١٩		الانجيل دعوة الى التفوق
٥٢٧	السيد يوسف يعقوب مسكوني	النصرانية في جنوب العراق
٥٣٥	الارشندريت ميشل عراف	مقام العذراء مريم في الطفس البيزنطي الشرقي
٥٤٠	الدكتور تزار رضا	الشيوعية احدث نظرية استعمارية
٥٤٥	الاستاذ پولس سلامة	ما هي الزفانا
٥٥٠	الدكتور جورج منبر	خناق الصدر والخوف منه
٥٥٧		الكرسي الرسولي وفلسطين المنكوبة
٥٥٨		الطوباوية مارييا كورتي
٥٥٩		نوطان على صدر حبرين من احبار طائفنا
٥٦٠		اللجنة الجديدة للمنادي الكاثوليكي في دمشق
٥٢٦	فضل السكوت	منفرقات : المؤمن المقتنع ٤٩٨ - الدين في الحياة ٥١٣ - فضل السكوت ٥٢٦ - غاية الحياة ٥٤٤

AHMAD ARAYSSI

Patisserie Confiserie

BEYROUTH - PLACE DES CANONS

Téléph. : 62 — 40

Domicile. : 67 — 60

حلوة العريسي

أحمد خليل العريسي

ساحة البج

بيروت - لبنان

تلفون المنزل ٦٧

تلفون المحل ٦٢

في خطاب

الى كهنة الخورنيات وواعظي العيाम
في رومة

صوت البابا

قابل قداسة البابا بيوس الثاني عشر المالك سعيداً ، في العاشر من آذار سنة ١٩٤٨ ،
مقابلته التقليدية لجمهور الكهنة والواعظين ، وكلمهم في خطابه هذا عن ضروريات
الحالة الحاضرة . ففي ايطاليا كما في غيرها من البلدان ، تنبذ الشبهة كل الروحيات
لتنشبت بمسائل عرضية مادية كالصناعة والتارن الرياضية والسينما . وهذه كما يعلم كل
واحد ، تزيد في الضعف الروحي ، ويضحى الجهل الديني كما يقول قداسته ، « مثل
جرح في جنب الكنيسة » . ولذا رأى قداسته ان يشدد على الكهنة والواعظين لكي
يرسخوا في الشبهة المسيحية التعليم الديني ، ويحثوا الكاثوليك اجمع على ان يكتنوا
فيهم عادات الحياة المسيحية . وبعد هذه الارشادات العامة ، يعطي قداسته تعليمات
تتعلق بالانتخابات الدستورية في ايطاليا .

ولقد رأينا ان نتقل الى قراء « الرسالة » هذا الخطاب ، فهو وان انجه الى الكهنة
ووعاظ الصوم الايطاليين ، لارشاد الشعب الايطالي ، فان الكهنة والوعاظ في بلادنا
يكدون فيه ليس للصيام فقط ، بل لكل حقبة من هذه الحياة خير التعليم ، ووفق الارشاد
مسيحي بلادنا العزيزة ، وكثيرون منهم لا يخلون من ميل شديد الى المادية والى كل ما
ينبه اليه قداسته .

« انا نشعر بفرح عميق جداً ، ايها الابناء الاعزاء ، كهنة الرعايا وواعظو
الصيام ، اذ نحيتكم في هذا الصباح مجتمعين حولنا . وما هي بحققكم من

قَبْلَ الإرادة الإلهية وظيفَةُ اسقف رومة ؟ ان مسؤولياته بصفته راعياً وأباً عاماً ثلاث مئة وخمسين مليوناً من المؤمنين ، في هذه الأوقات التي أصبحت فيها الكنيسة شاملة ، ليس فقط خيالياً بل جغرافياً أيضاً ، هذه المسؤوليات نفسها تحملها بالفكر ، كل يوم ، الى غير بلاد ، امام غير شعوب ، بحيث انه يشعر غالباً كأنه راجع من بلاد بعيدة الى مدينته الاسقفية . وهذا الشعور هو قوي ، ويتنوى كما شاهدنا ذاتنا بين اكابرسنا العزيز في مدينتنا رومة .

افضل اكابرس رومة

وتأكدوا جيداً اننا اذ نوجه اهتمامنا الغيور الى كل الأماكن على الارض الكثيرة التعدد ، والبعيدة الأنحاء ، لا ننساكم مطلقاً ، فانا نعلم باعمالكم ومحبتكم وایمانكم وخدمتكم وصبركم ومشاريعكم (رؤيا ٢ : ١٩) وانا نتلمس لنلتقط منها اقل صدى ، لانا عارفون بغيرتكم التي لا تكيل ، وبروح تضحيتكم ، وعارفون أيضاً بالنعم والبركات الظاهرة التي تتحدّر على رسالتكم . إنا نشكركم كلكم ، كلكم بدون استثناء ، وانا نفتكر بكم بنوع خاص ، انتم كهنة الرعايا ، مع نائبيكم في الضواحي ، فانكم تشتغلون بين صعوبات قاسية جداً ، معرّضين غالباً لاختار هائلة ، وكل همكم ان تفرسوا وتوسعوا دائرة الحياة الدينية المسيحية بين رعاياكم في القرى الحقيرة ، المحتاجة مرات كثيرة ليس فقط الى كل راحة وتسهيل ، بل أيضاً الى المسائل الضرورية والاكثر اهمية في الحياة . انكم تشغلون وظيفه ذات ثقة عظيمة ، واننا نتبع بغيره ابوية التقدم والنجاح الذي تحدّثونه ، مستعدين لنساعدكم بكل قوانا .

وانكم بما في قلوبكم من غيرة متحمسة ، وفي نفس الوقت خاضعة ،

تنتظرون منا ليس تشجيعات وبركة الاب فحسب، بل كلمة الراعي المرشد، وان مختصرة ، ولذا فانا نقدم لجهودكم غاية مضاعفة : ان ترسخوا في العقول حقائق الايمان ، وان تطبعوا في القلوب العادات المقدسة لحياة مسيحية حقة .
تعليم حقائق الايمان

لا تضجروا اذا راجعنا على مسامعكم مرة ثانية وحرصناكم على تعليم الحقائق المسيحية . أولاً يجز في القلب بنوع خاص ، وسط هذه الظروف الحاضرة التي تجوزها حياتنا الدينية في ايطاليا ، ان نرى الكثيرين يتظلمون في كل الكتابات وكل المجلات ، وكل العلاقات ، من هذا الجهل المطبق للحقائق الايمانية ؟

انه لم يحظر لنا قط ان نوبخكم على هذا ! فليست ايطاليا وحدها ضحية هذا الجهل . بل ان تشكيات كثيرة تبلغ الينا من بلاد مختلفة ومن بلاد كانت تفتخر قبلاً بكل حق بمحافظتها على التعليم الديني ، فاصبحت تنسكى من اشياء كثيرة تشغل اليوم شبان عصرنا ، وتتسرب اليهم جرائم دقيقة جداً ، مُضعفة قواهم الروحية والادبية والفائقة الطبيعة . هكذا مثلاً الاعتبار المفرط ، ان لم نقل الاولي ، الذي يُعطى للصناعة وللتارين الرياضية ، الحسنه مجد ذاتها ، والتي شجعنا عليها غير مرة ، ولكن الافراط منها لا يترك للشبان وقتاً ، ولا ارادة ليتعاطوا اشغال الفكر والروح ؛ هكذا ايضاً دور السينما فانها تعرض على الشاشة البيضاء كل شيء ، الا ما يساعد على تعريف الديانة اكثر . لذلك فانا نقدر حق القدر ، ونحذ كثيراً الجهود الجبارة لاطهار افلام دينية يكون لها في نفس الوقت قيمة فنية حقيقية .

ولقد تكلمنا مؤخراً في خطابنا لمؤلفي العمل الكاثوليكي عن هذا الجهل في ايطاليا ، كلنا عن جرح مفتوح في جنب الكنيسة ، ولقد رجعنا

الى هذا الموضوع في مقابلتنا شبان ابرشيتنا الكاثوليك ؛ واننا نرجف عندما نذكر ان جزءاً عظيماً من الشبيبة الرومانية التي تتراوح اعمارها ما بين الخامسة عشرة والعشرين ، تبعد عن الكنيسة بسبب اوهام بحجة اوعدم اتفاق ينشأ خصوصاً من نقص الغذاء الروحي ، الموافق لحالتهم ، وفي بعض الظروف الموافق لميلهم الشخصي . وبما ان هذا يتعلق اولياً بوظيفتكم ايها الابناء ، فقد رأينا ضرورياً ان نكلمكم من جديد عن هذه المسألة الهامة .

تنظيم التعليم المسيحي

اجتهدوا قبل كل شيء ان تنظمو حسناً عمل التعليم المسيحي . فثشوا لكم عن مساعدين صالحين ومثقفين . واسهروا لكي تطلعوا بواسطتهم على احوال الشبيبة والاطفال في خورنيااتكم ، بحيث لا يُفقد من عنايتكم وسهركم لا شارع ولا بيت ولا عائلة مهما كانت حقيرة . علموا انتم بنفسكم التعليم المسيحي ، على الاقل للصفوف العالية ، واعملوا ليكون كلامكم ثابتاً ، واضحاً ، شيقاً ، حياً ، متحمساً ، يتفق وفهم سامعيكم وحاجاتهم الروحية . ولن يكون كلامكم على شيء من هذا ، الا اذا عرفتم بوضوح وتعمق في معرفة الظروف التي تطراً على حياة ابنائكم الشخصية ، والعائلية ، والمهنية ، وفي معرفة صعوباتهم ، ومعاركهم وافكارهم ، وغاياتهم ، لكي تجيبوا على ما ينتظرون منكم ، وتقودوهم ، وهكذا ترجون كل ثقتهم .

همة السينما

لقد تعود الشبان في عصرنا ان يروا كل شيء مصوراً في الفيلم . فالسينما ، وانتم انفسكم تتظالمون من هذا ، تجذب وتقيّد كل رغباتهم . فلماذا اذن يكآف بالسينما الشبان ، بل الجميع بالعموم ؟ أيكون ذلك مجرد ميل

ردي. ؟ كلا بل ان الشعب يُفتن ، ويخلب بالشاشة البيضاء التي عليها يرى منبسطةً « شطراً من الحياة » . لان الشعب قد لا يلاحظ او لا يميز بين ضجة الايام ، كل دقائق حياته اليومية ، بينما يستلذ ويفرح اذ يتعرف اليها على الشاشة ، ويشمر حسياً بأساءة الحياة . ولكنه في نفس الوقت يلبث مخاوياً بتعاليم الضلال والكذب ، وبمشاهد اللذات الاثيمة ، والفظائع الهائلة ، المقدمة بقوة وحيوية امام مخيلته واحساساته ؛ مع ان ديانة الحق ليست باقل جاذبية من كل هذا ، ولا بطولة الفضيلة اقل حماسة ، على شرط ان توضع لا بشكل هندسي لا حياة فيه ولا وضوح ، او كأنها بند من بنود الحق القانوني الناشفة .

وإذا تجهمت السينما اولياً الى الخيلة ، فان لحقائق الايمان عليها تأثيراً قوياً لانها تطلب من الشاب التعمق والتفكير . وتوجب عليه ان يتعلم الحكم ، والتمييز بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، وبين الحلال والحرام . فلا تهربوا اذن ولا تتجنبوا اية صعوبة . بل يجب ان يتأكد الشباب ان بإمكانكم ان تقولوا له كل شيء ، وبإمكانه ان يطلب منكم كل شيء ، ويأتمتكم على كل شيء .

عادات الحياة المسيحية

والنقطة الثانية التي نود ان نضعها لتأملاتكم تلاحظ عادات الحياة المسيحية ، الواجب ان تتعمق اصولها في قلوب المؤمنين . لذلك حافظوا عليها او أرجعوها الى الحورنيات القديمة ، وازرعوها في ضواحي رومة الجديدة .

وان اخطاراً كبيرة تتعقب العادات المسيحية القديمة في كل مكان حتى في القرى وخصوصاً في المدن الحديثة والعواصم الكبرى . وكم نسمع من

يقولون : «ليست هذه العادات من عصرنا» كأنها لم تعد اليوم في عصرنا هذا اشد ضرورة منها في غير عصور ، لتكون دواءً شافياً خلاصياً ضدّ تآكلات وعدوى الفساد والروح العالمي الظاهر في تمازج المدن الفسيحة الهائل .
وقبل كل شيء احرصوا ان يبقى جو البيت العائلي مسيحياً ، لذلك ابعثوا كل الصور المشككة ، وليملك المصوب في كل عائلة .

ولا تتركوا ايضاً عادة الصلاة اليومية ، لانها الشرط الاساسي والاولي للانتصار على الرذيلة . وهذا هو الشرط الذي لا يستغنى عنه في كل حياة شريفة ، ليتأيد به الانسان الباطن المستمر (افسس ٣ : ١٦) . لا تنسوا حضور الفروض الكنسية بتقوى ايام الآحاد والاعياد ، ولذلك ستجتهدون بان تطبعوها بطابع المهابة والتقوى ، ونجروا ان نقول وطابع الجاذبية التي تصيرها محبوبة ، حتى لهؤلاء الذين لا يرون فيها عادة ، الا مجرد مظاهر مضجرة . ولا تهملوا ان تحرضوا على التقرب من الاسرار بتواتر .

واخيراً جاهدوا الجهاد الحسن ضد هذه الاجتماعات او (المواعيد) وهذه المشاهد التي تجرح حشمة وشعور النفوس المسيحية ، والتي كانت تحجل الوثنيين الاقدمين انفسهم . لهذا ضعوا في قلوب مؤمنكم كراهية واشمئزازاً هذه التصاوير الاثيمة .

آمال الساعة الحاضرة وواجبها الثقيلة

انكم تعرفون ، ايها الابناء الاعزآء ، الواجبات التي تمثل كاهلكم وتأسركم في مثل هذه الساعة الخطيرة ، ولقد بيناها نحن بنفسنا في ظروف كثيرة حتى نظن من الناقل ان زجع الى هذا الموضوع مرة اخرى ، لكن حتى لا نازم الصمت في ظرف ، نتأمله كذا ثقيلة ، نكرر القول مع الرسل : « انا لا نقدر ان لا نتكلم » (اعمال ٤ : ٢٠) . ونذكر هنا باختصار

بعض مبادئ اساسية .

هذا حقكم ايها الابناء. وهذا واجبكم ان تنتهوا المؤمنين الى اهمية الانتخابات القادمة ، والى المسؤولية الادبية ، الناجمة منها لكل من له حق الانتخاب . ان الكنيسة تريد ان تبقى خارج وفوق الاحزاب السياسية . ولكن كيف يمكنها ان تبقى محايدة ، غير مكترثة امام تشكيل برلمان يُسند اليه الدستور حق التشريع في مواد تلاحظ صريحاً الامور الدينية العليا ، والشروط الحيوية للكنيسة المسيحية نفسها في ايطاليا ؟

وهناك ايضاً مسائل اخرى صعبة ، خصوصاً المشاكل والمعارك الاقتصادية التي تمس عن قرب خير الشعب العام ، وبما ان هذه الامور لا تتعدى النظام الزمني (مع انها تلاحظ ايضاً النظام الادبي) لذلك تركها الآن رجال الكنيسة لغيرهم حتى يفحصوها ويحلوا مشاكلها العديدة خير وفائدة الشعب العمومي . انما ينتج عما تقدم :

١ ان في هذه الظروف الحاضرة الزاماً موجباً لكل من له الحق ، رجالاً ونساء ، ان يشتركوا في الانتخابات . وكل من يتنعم ، اكسل او جبانة ، يقترف خطأً ثقيلاً وخطيئة مميته .

٢ على كل ان ينتخب حسب ارشاد ضميره الشخصي ، والحال ان الضمير يلزم كل كاثوليكي مخلص ، ان يعطي صوته للمرشحين ، واللائحة المرشحين الذين يقدمون ضمانات اكيدة وكافية لحماية حقوق الله والنفوس ، ولخير الافراد والعائلات والبلاد ، حسب شريعة الله ، والتعليم الادبي المسيحي .

وعندما تكملون ايها الابناء الاعزاء ، الوظيفة العالية والمقدسة ، وظيفة وعظ الكلمة ، احرصوا ان تنزلوا الى مسائل تافهة تتصل بالاحزاب السياسية

او الى مشادّات خزية مُرّة ، تثير الارواح وتثير الضغائن ، وتبرّد المحبة ، وتضر بمقامكم نفسه ، كما تضر بفاعلية خدمتكم المقدسة . اعطوا لكل من يحضر الفروض الكنسية ايام الآحاد ، الارشادات التي يبغيها ويتنظرها منكم . علموا الكل كيف يتحدون مع الله بأوثق العلائق ، وكيف يتعمقون في معرفة يسوع المسيح ، ويزيدون في حبه ، وكيف يكملون فيهم الانسان الديني ، وسط اختباطات هذه العصور الحاضرة . علموهم كيف يسرون حسب وصايا القادي الالهي ، وكيف يلبثون دائماً امة لله للكنيسة ورئيسها المنظور .

لا محلّ للتشاؤم

تشجعوا اذن وثقوا . ولا يمكن من محلّ للتشاؤم . أولاً ترون ان جاذبية الحيرات الارضية والمادية لا تمنع ان يرتفع الشعب كأنما غريزياً نحو الحقائق الروحية والدينية ؟ الا ان العلامات المشجعة بالاكثّر في ايماننا هذه ، هي بدون شك ، هذا الاشعاع المتكتمل دوماً ، والبالغ احياناً الى مشاهد عظيمة ، غريبة ، مدهشة ، اشعاع الثقة والمحبة البنوية التي تقود النفوس نحو الام البتول . وفي هذه الليلة الحالكة القاسية على العالم ستطرد العاصفة الهوجاء كل الغيوم التي تجتاح السماء السوداء وتتركنا نجتلي في الافق احمرار الفجر الذهبي ، مبشراً بياوم هنيئة ، بالاقتراب المجيد ، اقتراب شمس الحق والعدل والمحبة ، يسوع المسيح مخلصنا وسيدنا .

واذ نكل خدمتكم الراعوية الى حماية ام الله الرحيمة والقديرة ، نعطيكم بل القلب ، لكم ، واكمل مؤهنيكم ، ابناء ابرشيتنا ، البركة الرسولية .

بيوس الثاني عشر

« في وسط الاختيار الشامل الناتج
عن ضلال التعليم وابعاحية الاخلاق
يحسن من يرغبون في تنظيم المجتمع
المدني تنظيماً مسيحياً ان يعملوا
اوزنام معلماً لهم وقائداً » .
(البابا بيوس العاشر

اوزنام والمشكل الاجتماعي

المشكل الاجتماعي افكرة وليدة النصف الثاني من القرن السابق قدّر
لها ان تتصدر في الصحف والكتب وبرامج الاذاعة ودعاوة الاحزاب
ومناشير الباباوات والاختيار . فالشيوعيون والاشتراكيون ، وأحزاب المال
والاحرار ، ومنظمات العمل الكاثوليكي تكاد تنحصر فيه وتحار في حل
عقدته . المشكل الاجتماعي هو العلاقة بين رأس المال والعمل . وبالتالي هو
رابط الأجرة بين العمّال واسبادهم المثرين الذين يضبطون رأس المال
ويستفيدون من شغل عملتهم ليستثروا اكثر فأكثر . نكتفي الآن بهذا
التعريف الموجز الذي لا بد منه ، ولعلنا نلقي يوماً نظرة تاريخية وعقلمية الى
هذا الامر الخطير كما فهمه زعماء الشيوعية وسواهم ، وكما جاتته لنا حوادث
الايام في امهات بلدان العالم ، بعد ان حللنا سابقاً نظرية افلاطون حوله .

حينما خلفت الجمهورية النظام الملكي في فرنسا تألف الحزب الاشتراكي
الذي كان من عوامل ثورة ١٨٤٨ . ولكن لم يكن الافق متجهماً بعد
ولم تتكاثف السحاب المنذرة حول المشكل الاجتماعي . بيد ان « نبياً »
ثاقب البصيرة ، بعيد مدى التفكير هو فردريك اوزنام (*) رأى في هذا

(*) ولد سنة ١٨١٣ في مدينة « ميلان » الفرنسية وقتئذٍ . درس في ليون
وباريس حيث فاز بالكتورا في الحقوق والآداب ، وأسس جمعية القديس منصور
دي پول ، وسمى مع بعض اصدقائه لدى اسقف باريس السيد دي كيلن ليخطب الاب

المشكل بذرة انقلاباتٍ وثوراتٍ ان لم يتداركه أولو الامر بمجلّ عملي فجلاله لمعاصريه وقلب سائر مناحيه مظهرأ أسبابه ونتائجها والطرق العملية لفضّه من وجهة اجتماعية ودينية معاً ، مرتكزاً في تفكيره على مزايا الطبيعة البشرية ومستوحياً الدين المسيحي ليهتدي بحجته وعدله . وما هذا المقال سوى تعريب لمقاطع بليغة خطّها قلم اوزنام الدكتور في الحقوق والآداب . وكان أصدق وأحرى لو يوقع المقال باسم فردريك اوزنام نفسه .

١ - سبب المشكل الاجتماعي وعاقبته

سبب المشكل الاجتماعي بؤس العمال ، وعاقبته نزاع الطبقات ، هذا في نظر اوزنام كما في نظر ماركس . طلع هذا الشيخ من الحواجز والمهاوي التي تفصل بين بؤس العمال وشقاؤهم وسعادة الرأسماليين ورفههم . وبرز مجتنباً الفروق المبعدة بين الاغنياء والفقراء مع حاشيتها من حسد وضمينة وثورة . واليك ما قال اوزنام غداة ثورة ١٨٤٨ : « وآء الثورة السياسية تكمن ثورة اجتماعية . ووراء الحكم الجمهوري الذي لا يتحدث فيه سوى المثقفين والراقين مسائل تهم الشعب ولاجلها هيأ السلاح ، هي مسائل العمل والراحة والاجرة . لا يقنع الشعب بمجالس وطنية وقناصل ، ولا يكفي برئيس جمهورية وحكام جدد ومشرعين جدد . » ويخاطب الحكومة في صحيفته « العهد الجديد » : « سجّتم الثورة ولكن امامكم بعد عدو لا تعرفونه

لاكوردير عضو المجلس الوطني في كاتدرائية نوتردام . علم في جامعة السربون الآداب الاجنبية والاجتماع ، وأنشأ سنة ١٨٤٨ جريدة « العهد الجديد ، l'Ere Nouvelle » التي لم تظهر سوى سنة للظروف السياسية المضطربة آنئذ . مات في مرسيليا سنة ١٨٥٣ ثم نقلت رفاته الى كنيسة الكرملين في باريس ونقشت على قبره هذه الآية : « لماذا تطلبون الحي بين الموتى ؟ »

حق المعرفة ولا تجبون ان تحدثوا عنه ، وهو البؤس . « ثم يصف لهم شقاء ناحية في باريس هي المنطقة الثانية عشرة التي اندامت منها نيران الثورة : « من تسعين ألف شخص ثمانون ألفاً يعيشون من الصدقة . شوارع ضيقة معرقة لا تجد اليها أشعة الشمس منفذاً ، ولا تعبرها عجلة دون خطر ولا يمر فيها رجلٌ مرتدياً موطفاً إلا وتحوم حوله نواظر اطفال عراة ونساء في الاسمال . بنايات ذات خمس طبقات تضم خمسين عائلة ، وغرف خانقة كهفية لا ورقة فيها ولا حقير الاثاث لتستر ارضها وحيطانها العارية . . . في قبو كالمغار تنام على القش عائلة كل مالها جبل متدلٍ من السقف يرفع عن الحضيض ستاراً لفت فيه بعض أرغفة كيلا تنازعها اياها الجرذان . . . قد لا نعثر في غير احياء من العاصمة على هذا البؤس انما هنالك عيال وأسر تستر جوعها وفقرها بظهور النعمة خجلاً واستحياء . . . وجيش من المعطلين يفنى في الضجر والبطالة والاعدام . . . وكذا في ليون وروان وسائر المدن الصناعية شمالي فرنسا . . . »

لو طلب الى زعيم شيوعي أن يخاطب ويكتب عن بؤس العمال لما أفصح وأثر كاوزنام . انما الفرق بينهما ان الثاني خاف وتوقع ثورة العمال وأنذر لتلافئها، بينما الأول يجرض عليها ويقوم بها .

ففي سنة ١٨٣٦ كتب اوزنام : « الامر الذي يفرق بين البشر ليس سياسياً بل اجتماعياً محوره النضال بين روح الانانية وروح التضحية . . . فئات تملك الكثير وتستريد ، وفئات لا تملك الضروري أو لا تملك شيئاً وتريد ان تأخذ اذا لم تُعط . بين هاتين الطبقتين يهدد نزاع سيكون صراعاً وحشياً هائلاً : قوة الذهب ومقابلها قوة اليأس . بين هذين الجيشين علينا نحن المسيحيين المتوسطي الحال ان نرتقي كوسطاء لاستمدراك الصدام . » كتب كارل ماركس في كتابه الشهير رأس المال : « ان رأس المال طلع على العالم

قاطراً أعراق دم ووحل . « ووصف ببلاغة ساحرة مثيرة استغلال الفقراء والمعدمين ولكنه استنفر هؤلاء للثورة ابتغاء الاصلاح ، بينا اوزنام استقى مبادئ الاصلاح من روح الانجيل ومن اعماق الدين المسيحي كما سئى بعد عرض نظراته الفلسفية والنفسية الى العناء الذي يتقلب فيه المجتمع .

٣ - اسباب الاضطراب في المجتمع

يعاني المجتمع آلاماً ومصاعب هي من الاهمية بمكان حتى ان خطورة النظام السياسي الذي يخص الحكومة والأمن العام يضول حيال المشكل الاجتماعي العالي في سواد الشعب وصميمه . فاوزنام بعد ان أطاع على الأمر وحذر منه حكومته ومواطنيه في صحيفته السياسية ، نظر الى الواقع كفيلسوف ومفكر واستخلص ان هنالك تعاليم ضالة ومضلة تنفخ في الرماد وتسير الوقائع الى نتائج وخيمة ملتقاهاً ومصعباً المادية . وخلاصة تلك المبادئ اثنان : الحرية المطلقة والاشتراكية . « وما الاشتراكية سوى ابن الحرية المطلقة العاق » كما كتب احد الاقتصاديين المعاصرين .

« لا تفتش السياسة بين اسباب البؤس الا عن المادية منها . فقامت مدرستان ارجعت الامور الى الانتاج والى توزيع ثمراته : مدرسة الاقتصاديين القدماء التقليديين تحاول درء الخطر الاجتماعي بزيادة الانتاج في تـابق وتراحم الافراد ، ولا قانون للعمل الا الفائدة الشخصية التي هي اشد الاسياد طمعاً وتعتياً ؛ (وهذا ما دعته الفلاسفة الحديثة « الحرية المطلقة او الاباحية » في الانتاج حول الاجرة وساعات العمل وتشير الرأسمال) ، ومدرسة الاشتراكيين الحديثين ترى منبع الشر في سوء التوزيع فهي تتعلل ان تنقذ المجتمع بإزالة التراحم وبتنظيم العمل بحيث يصبح سجنناً يقبض المحبوسين فيه ، وهي تعلم الشعوب ان تبدل حرياتهما بتأمين الخبز وعود اللذة . هذان المذهبان يجعلان

هدف الانسانية الانتاج والتنعم ويبلغان بطريقتين متباينين الى المادية . «
 وكان من المدرسة الثانية بعدئذ الشيوعية والاشتراكية اللتان تعطيان للحزب
 وللدولة الإشراف على الشغل والانتاج والتوزيع والاستهلاك . كأني بأوزنام
 نبي يتكهن بما حدث في روسيا الشيوعية من «إبدال الحريات بعود النذة» .
 وكلمة اندره جيد كصدي لكلمة اوزنام حين يقول في كتابه « عودة
 من روسيا » : « لم تعفر الجباه ولم تحن الرقاب حتى الآن بهذا المقدار » .
 وفكرونا يتحققون ان المادية وضياح « روح » الروح والاستهتار بكل ما
 ليس مادة ومالاً نتائج تجيش القوى الانسانية للانتاج ثم للانتاج ودوماً
 للانتاج .

عدا المبادئ الضالة نقص تهذيب الشعب سبب آخر لهذا العناء الشامل
 ولذا يطالب اوزنام للشعب بالتعليم والتربية : « الله لا يوجد الفقراء بل الحرية
 البشرية توجد هم . هي التي تنشف ينبوعي الغنى ، العقل والارادة ، باهماها
 العقل ينطفئ في الجهل والارادة توهن في رداة السلوك . » كلام جرسور
 دفعته نفس شجاع يكاد يناهض الانجيل لولا اقتناعه ان البؤس يبعد من
 الله اكثر مما يقرب اليه . « زفيد غداة المناولة الاولى ان نفتح للعامل مدارس
 كل مساء وأحد ، وان نحول ارباض باريس الى بيوت صنائع ومهن والى
 سربون شعبية حيث يتوقر لأولاد الميكانيكي والصبأغ والطبأع كما لأولاد
 الطبيب والحامي التعليم العالي ولذة العقل وفرح الاعجاب . . . » فيرى اوزنام
 في نقص التعليم والتهذيب سبباً لعدم تخلص الفقير من فقره وهذا صواب
 لاسيا في النظام الصناعي والتجاري الحديث . فليت اوزنام ومتملمه
 ولاكوردير والبيدي مين استلموا وزارة فرنسا في حقبة ولو قصيرة
 انرى ما كانوا أقرؤا ونفذوا للشعب ، كما فعل قبلهم غوسيا مورينو

في جمهورية خط الاستواء .

وفوق المبادئ الضالة ونقص التهذيب والثقافة أثره المسمولين وانانية
الرأسماليين . فيشبه اوزنام الثروات الصناعية الطائلة بالملوك البرابرة المرتفعين
على محمّات دروع تسندها عواتق رجالهم . ويقول عن الرأسماليين : « زعماء
الصناعة انانيون لا يكثرثون بالعمال ولا يفكرون يوماً بحاجاتهم الادبية ،
وقد يبخلون عليهم براحة اليوم السابع كأنهم للعمل آلات . هذا اذا لم
يحظروا الدخول الى مصانعهم كل ما من شأنه أن يعلم القناعة والاقتصاد
معتقدين ان الرذيلة اذ تفسد العامل تجعله ألين في يد معامه . » فما أصدق
هذه الشكاية على كثير من الرأسماليين الذين يستغلون جهل وعوز فعلتهم ،
ايتحكموا بهم ويلعبوا بحياتهم الادبية والجسدية ، كأنهم قطعة مادية جامدة
من الآلات الميكانيكية التي يديرونها . وما اصدق فكرة كاريل في كتابه
« الانسان ذلك المجهول » حينما ينمى على الصناعة المعاصرة قتلها حياة الانسان
الروحية والادبية وجعلها منه آلة متخصصة لانتاج هذه القطعة او تلك
البضاعة . وهكذا قانون القوة المسير الكائنات غير العاقلة يتعدها الى
العاقلة فينهش القوي الضيف حتى انه يعامله كبهيمة ، بل أحط من بهيمة ،
كآلة خرساء جامدة صماء لا تتعب ولا تضجر ولا تطالب . فلنتابع قائدا
اوزنام وزمعه الادوية الضرورية الناجمة لاستئصال هذه الآفات من المجتمع
المنفسد .

٣ - الادوية الحقيقية المفيدة

يستقي هذه الادوية العملية من منبع الروح الاجتماعي المسيحي الذي
هو في نظره : روح عدل ومحبة ينظمان كل علاقات البشر مع بعضهم ، روح
غيرة وشفقة على الفقير ينبعثان من المحبة ويستيران لاغائة العامل الاكليس

مع الطبقات الغنية والمتوسطة . وهو يشجع الاكائرس ان « لا تخافوا الاغنياء المنفسدين الذين ينبجون عليكم بعد خطبكم بتهمة شيوعيين » ويقول لاختوته الالمانيين : « ليست الكنيسة نفسها هي التي تعلمنا ان الارض لم تقسم الا بعد أن امنت ، ولذا عقب تطهيرها بالفداء الالهي يجب ان ترجع قدر المستطاع الى التعميم الاول . . . وهكذا كانت الاشياء مشتركة بين المسيحيين الاولين . . . » كلمات متفحمة اقرب الى الشيوعية منها الى تعاليم الكنيسة لولا اقتناعنا من نظرية اوزنام الدينية ومهاجمته للاشتراكية . لعمرى أليست فكرته هذه صدى ملاماً للاعتراض الشيوعي العالمي « هجرات الارض ليست لأقلية ولا لأكثرية من البشر بل لهم كلهم . » واذن فليستقظ رأس المال ولتعم الرفاهية كذا يقضي الحق الطبيعي ! والكنيسة والآداب المسيحية لا تريد أحسن من هذا أي أن لا يوجد معوز بانس مضى على الارض بل يتقاسم الاغنياء والفقراء خيرات العلم ويعيشون اخوة . لكن الفرق في النوعية والتطبيق ، وانه شاسع متعاكس ! من هذه المبادئ المسيحية والاجتماعية يستنتج اوزنام الادوية العملية : احترام الشخص الانساني ، العدل الاجتماعي ، المحبة الاجتماعية .

احترام الشخص الانساني

وإذا اعتبر العامل كشخص عامل ، لا كبهيمة ومادة ، فلا يستغله الطمأعون ولا يسحقه الاسياد ، ولا تعرض عنه الحكومة أو ينبذه المجتمع الزاقي . قال بيوس الثاني عشر : « اعملو كل ما في وسعكم لترجعوا الى الشخص الانساني الكرامة والقيمة اللتين حباه الله في البدء . » وقال الفيلسوف الالماني كنت : « عامل الانسانية في ذاتك وفي غيرك كفاية لا كواسطة . » ويقول اوزنام : « نحترم في البشر الاشخاص الخالدة التي تدبر

أبديتها ونعتبرهم من جهات عدة اسياد سعدهم او شقائهم في هذا العمر .
 اذن اللاهوتيون والفلاسفة والاجتماعيون مجتمعون على ان احترام الشخص
 الانساني ومعاملته كماقل حراً هما اساس كل اصلاح وعلاقة بين البشر .
 وفي رأي اوزنام بل في رأي كل نفس نبيلة مدركة لا يحتقر انسان شبيهه
 الا لانه غبي خائن طبيعته كان حقه الا يوجد وسط مضطرب هذا العالم في
 طبقة البشر العاملين . واذا كان البشر كلهم متساوين في الشخصية العاقلة
 الحرة وجب ان ينظم العدل الاجتماعي علاقات العمال باسيادهم .

« العمل مشرف . رفضته الكهرياء . الوثنية فكان للايمان المسيحي
 بعقائده وآدابه ان يعيد للعامل والعمل ، كما لكل الطبقات البشرية المتألمة
 القيمة والكرامة . ولهذا من قدم ليصلح العالم اخفى شخصه الالهي
 ثلاثين سنة في مصنع نجار » . ومقابل واجب الشغل حق الاجرة . فاما ان
 يستغل الانسان اخاه ويعامله كآلة ويستبد به وبالتالي لا يعطيه اكثر مما يُعطى
 الالة من الراحة الضرورية لمعاودة الشغل ، واما ان يعتبره معاوناً وحينئذ
 يبادل شغله بالاجرة الطبيعية اي المرتكزة على الحق الطبيعي والمناسبة
 للطبيعة البشرية . واوزنام يوزع الاجرة ويمددها على « الشخص الانساني
 الكامل » : على الارادة بان يقابل عملها الحز المستحق بمكافأة تكفل
 الضروري للحياة ، على العقل بأن يؤخذ من الاجرة لتثقيف اولاد العمال
 وعلى الجسم بحفظ القوة والاذخار للشيوخوخة . وبما انه عملياً لا يستطيع
 ارباب العمل اعطاء اجرة كهذه لثلاث تبدد ثروتهم وينهار رأسمالهم ينشأ في
 المجتمع عداء بين العمال والاسياد ، بين قوة الثروة وقوة المدد وتكون
 النتيجة اما العنف واما هجر العمال . وحرية الفرد المطلقة وتدخّل الحكومة
 الدكتاتورية لا يصلحان للتهدئة ولاقرار نظام مرض . انا يحسن توسط

الحكومة في بعض حالات خاصة فقط . ويريد اوزنام أن يصبح العامل على مرور الزمان شبه شريك لمعلمه .

والمحبة الاجتماعية

تتعاون مع العدل لمساعدة العامل والفقير . فتخطى اوزنام الى العمل وأسس جمعيات القديس منصور دي پول التي انتشرت في اقطار الدنيا لمساعدة المعوزين . ولما كان في سن الثانية والعشرين كتب : « اتنى ان رفاقي الشباب يتحدثون لعمل خيرى عظيم فيؤلفون في مختلف مناطق البلاد جمعية واسعة النطاق لمساعدة طبقات الشعب » . ان المحبة في عرفه هي روح الرقي الاجتماعي لاسيا اذا طُبقت بافعالها الروحية قبل الجسدية . لكنه يأبى ان يعيش المعوزون عالة على غيرهم بل يساعدون لتحسن حالهم قليلاً فيستطيعون ان يكفوا ذواتهم . والمحبة مع العدل الاجتماعي روح تقارب الطبقات المتنافرة المتعادية . وهي كذلك الروح الذي يدفع بالغني للصدقة والسخاء . واكم تبنى اوزنام وسعى ليخلق في بيثة البرجوازيين « حركة محبة خيرية » .

ونحن اذا أضفنا الى كل ما قدمه فردريك روح الايمان بالحياة الثانية الحقة وان آلام العمر ومصائب الدنيا مرقاة للنعيم وللمجد الابديين ، وان خيرات الارض وغناها كثيراً ما تحول في سبيل « اللذة الابدية الحقة » شجعنا الفقير والبائس ليحمل عناءه بشهامة وعزة نفس .

لو استطاع اوزنام ان يرجع الى عالمنا ويطوف في اقطاره لرأى غالب مخاوفه تحققت في الثورات والتنافر والشيوعية والديكتاتورية وغلجان الشعب الفقير، وبعض آماله ايضاً تحققت في الجمعيات الخيرية والحركات الكاثوليكية العاملة واهتمام الاكائرس بالعمال ، وبعض تعميم في التعليم والتربية . انما لا

اوزنام ولا الاجتماعيون المسيحيون ، لا الشيوعيون ولا الاشتراكيون ، لا النظريون ولا العمليون حلوا عقدة المشكل الاجتماعي حلاً واقعياً نهائياً . ولم ياترى ؟ ربما لان لا حل عملياً له بسبب الخلل الطاغي في اعماق البشرية المنفسدة . والمبدآن الضالان المسببان المشكل الاجتماعي ما زالوا ولن يزالا مبدأ الانانية ومبدأ القوة .



المؤمن المقتنع

عندما كان اوزنام يدرس الآداب الاجنبية في جامعة السوربون كتب له احد تلامذته اللاديني على الورقة المعلقة التي تحمل اسماء المعلمين مع مواد تدريسهم « استاذ اللاهوت » وذلك قرب « استاذ الآداب الاجنبية » .

وعلم اوزنام بالامر قبل دخوله الى قاعة التدريس فحينما صعد المنبر قال لمستمعيه : « ليس لي الشرف أن اكون لاهوتياً انما لي الشرف أن اكون مؤمناً مقتنعاً . » فدوت القاعة بالتصفيق اعجاباً بشجاعته وشهامته .

الحدث الديني

تحليله النفسي

بقلم الاب اغناطيوس غطاس الملطي

لا نبتغي في هذا الدرس ان نتقصى موضوع « الدين » الواسع ونبحث في مختلف نواحيه ومظاهره ، ولا ان نقبّل الفوارق بين دين وآخر ولا ان نتصدى للبحث في هل كل دين حسن ، او بكلمة اخرى هل يمكن ان يوجد غير دين حقيقي واحد إقاً لا نرمي الى شيء من هذا بل نزيد ان نتتبع مجرى الدين لنحلّل هذه التزمة النفسية التي تتخالج قلب كل انسان ، وتقسره على التقيد بالدين والعبادة .

وقبل ان نشرع في الموضوع يحسن ان نذكّر بمجقيقة شمول الدين كلّ الامم ، متحضرة كانت او غير متحضرة ؛ مثبتين مع احد المؤلفين : « ان من المستحيل ان نؤكد وجود شعب لا دين له » . ومع بلوطرخوس ايضاً : « لم يُشاهد قط شعب بلا اله ولا صلاة ، ولا طقوس دينية ولا ذبائح » .

نظريات مغلوطة

ازاء هذا الحدث الديني الشامل ، وقف الانسان صامتاً حائراً ، ومرات كثيرة خرج عن ذاته ليجد نبع هذا الحدث في المخلوقات من حيوانات وجمادات ولكنه احس بفراغها كلها وانها لا تقفي بما يتحرّق ليصل اليه ، ثم عاد ودخل مخدعه الداخلي وامسك نفسه بين يديه واخذ يتفحصها ويدرس كيانها وقواها وتأثيراتها واذا بنظريات اخرى جديدة ، أخذة بالعقول البسيطة ولكنها تناقض وتتناهى ؛ ووقف الفلاسفة حقبة من الزمن يهشمون بعضهم بعضاً ، فهذا يناقض

ما يؤكد الثاني ، وذلك يهدم ما يبني غيره . وسنعرض اهم هذه النظريات
تهدداً للنظرية المثلى ، صوت الحق ، المنبعث عن كل القوى الانسان .

الخوف

يؤكد الكثيرون ان اصل ومبعث الديانة كان الخوف ولذا تمسك العلماء به
شديداً ، وكما يقول امين نعوم : « ان الفواعل الطبيعية والظواهر الجوية اثرت
في مختلف العصور في الانسان ومعتقداته ، فصوت الرعود ، ووميض البرق ،
ودمدمة الزوابع شغلت افكار الانسان المتوحش وأرعبت قلبه وأثرت في
تصوراته فاندعش من عظمتها ، وخاف من قوتها ، وحذر من مظاهرها ، وهاله
امرها ، فاعتقد ان قواها المنظورة وغير المنظورة ، عاملة به ، متسلطة عليه ،
فارتبط بوجوده معها وتعلقت حياتها بها ، فكان اذا اخصبت ارضه عاش راضياً ،
واذا امحلت مات ، ونتج عن ذلك انه اعتقد بارواحها وعيها وقسمها الى صالحة
وشريرة ، تبعاً لمنافعها واضرارها . فارواح الاطوار والشمس والحرارة مثلاً كانت
في عينيه من القوى المحسنة اليه ، وارواح الجفاف والبرد والمجاعات والامراض
من الارواح المضرة له ، فقال انها شريرة ، ومن ثم نتج عن ذلك الاعتقاد والميل
الى استرضائها لدفع اضرارها أولاً بالحصول على رضاها ، فقدم لها الضحايا
وحباها بالمعاطيا ، وتقرب اليها بالصلوات والرقص » (١) « واقام قائل
الاجرام التي تبعث في نفسه الخوف ، كالشمس وغيرها ، واتخذها ارباباً . . .
فكانت نواة التدين في قلبه » . ولقد قال لوكريس : « الخوف هو اول ما
اوجد الآلهة » وتبعه اوغوست كونت : « لقد عبد الانسان الطبيعية إما لاعتقاده
بان بها روحاً له سلطة عليه ، وإما لخوفه من قواها الظاهرة » وقال ايضاً لاستري

(١) « المقتطف » ، اصل الاديان ، ١٠ ابريل ١٩٢٧

مع واديين كثيرين: « ان الديانات بقية باقية من خرافات العصور الماضية اوجدتها الصدفة وتمسك بها الانسان لحرفه من مجهول ، وذلك لعدم معرفته نوااميس الطبيعة » ، ويقول هيجل ايضاً : « ان الديانات كبقية المعارف التي توصل اليها الانسان بالملاحظة والاختبار ، اوجدتها جهله لاسرار الطبيعة ، وسيتركها لدى اطلاعه عليها » . وزاد ميترس على ما تقدم : « ان الانسان اكرم الطبيعة وعندها لحرفه من الظواهر الجبرية » .

وكتب عبد المنعم عبد العزيز المليجي مدرس الفلسفة بجلوان مقالاً طريفاً يقول فيه : « الرجل البدائي يندهه عديد من ظواهر الطبيعة . . . فالعواصف تطوح بمسكنه ، والبرق يحطف الابصار ، والمطر ينهجر بقوة لا تدفع ، والظلام يغمر كل شيء ، والموت ينزل بال مخلوقات فيخرسها ويسكتها سكوتاً ابدياً ، والميلاد يأتي الى العالم بمخوق جديد من حيث لا يدري ولا يحاسب . امور تثير الدهشة والعجب ، ولما كانت تمتاز بطابع القوة والحتمية ، وكانت بعيدة عن متناول يده وادراكه فانه يتوجس منها خيفة ، قد تصل احياناً الى حد الرعب والفرع ، بيد ان البدائي رغم خشيته منها ، فانه يعجب بها وبقدرتها وجاهله بحقيقتها وعلتها ينسبها الى علة خفية لا يدرك كنهها ولكنه يعلم فقط انها قوة نفسية لا مادية ، تحل في كل ما هو قوي مخيف ، وهو مع خوفه من هذه القوة المدبرة يشمر بالحاجة اليها ، ومن هنا كانت الطقوس لاتقاء شرها واستجلاب خيرها وكان تقديم القرابين والسحر ، واخيراً كانت محاولات عقلية لتفسير الظواهر وتحديد طبيعة القوة المدبرة لها » (٢) .

ويمكننا ان ننظر التأثير العميق لهذا الخوف على بعض الشعوب والفلاسفة

(٢) مجلة « علم النفس » ، عددا يونيو واكتوبر ، سنة ١٩١٧ : الشعور الديني عند الاطفال والمراهق ، صفحة ٧٩ و١٩٣ .

حتى انهم راحوا يحددون الديانة « مجموعة وساوس ومخاوف تفترض عمل قوانا الحر » وهكذا تُنفى من الديانة جوهرياتها ، مثل الله والنفس والايان والصلاة والعبادة والمحبة والخوف البنوي لنرى فيها مبادئ حقيرة نافية ضيقة ، تجعل الديانة مثل « بوليس او اعلام اعشى » (٣) .

ومهما يكن فليس الخوف مبعثاً للدين والا كانت القوى النفسية قد نبذته . وهل للخوف مجال بعد في عالمنا الحاضر ، والعالم آ . يشرحون الاحداث وسبب انفعالاتها ويتخذون كل الوسائط لكي لا ترهبهم ولا تضربهم . وكلنا يعلم المبدأ الثابت : « النتيجة من السبب ، فاذا زال ، زالت » . فلو صح اذن ان يكون الخوف مبعث الدين لوجب ان تبيد الاديان عند انهدام الخوف ، ومع ذلك فما يزال الايمان في الامم اشد واقوى .

التطور

ولعلنا نجد في هذه النظرية تحليلاً اقوى وامتن ؟ فهي تقول : ان الانسان قد مر في اطوار مختلفة : كان حيواناً في بدء الامر ثم تطور ، وتطور ايضاً مارقاً من نوع الى غيره من الحيوانات ، واخيراً انتهت الى حالته الحاضرة . وتطورت قواه : عقله وارادته ورغباته ؛ لم يكن ديناً قبل ، ثم تقدم وتحوّرت اعتقاداته فكانت اولاً ساذجة مبهمة وغليظة ، وهذا ما نتحققه عند البرابرة والشعوب البدائيين ، وتوضحت الديانة وتدرجت في السمو فوق المادة . ويجاهر الآخذون بهذه النظرية ان الدين خالج الانسان اولاً في حالة الجهل وهذه هي المرحلة الاولى ، وبعدها تخطى الى عدة مراحل ، منها :

(3) P. J. Huby: *Christus*, p. 3

الاستحياء^(٤) (Animisme)

الحامي الاكبر عن هذه النظرية هو بورنت تايلور Burnott Tylor استاذ في جامعة اكسفورد . ولقد اصدر كتاباً سنة ١٨٧٢ نفدت نسخته بعد قليل ثم روجع طبعه مرات كثيرة حتى السنة ١٩١٣ ولم يمض زمن يسير على صدور الطبعة الاولى حتى تتلمذ لتايلور اكبر المفكرين والمهتمين بهذه الدروس من انكليز ولمان ، واصبح هذا التعليم التطوري « النظرية المدرسية » في انكلترا بالرغم من المناوئين الكثر امثال ماكس مولر . وبقيت هذه النظرية رائجة حتى بداية القرن العشرين ، اذ ذاك شعر الاستحيائيون ان الاعداء قد كثروا جداً واخذوا يقبلون شيئاً فشيئاً مبادئهم وتعاليمهم ، وان من المستحيل ان يرجع لهم كل نفوذهم وسيطرتهم .

اما هذه التعاليم وهذه المبادئ فهي غزيرة ونكتفي ان نستخلص اهمها ، نأخذها عن الاب شميدت وغيره من العلماء الذين درسوا الاستحياء وتعمقوا فيه وناقضوه بقوة وجراءة^(٥) .

نظريات اوبية

افتكر الرجل البدائي اولاً بشي . مختلف عن هذا الجسد ، مبدأ اقوى هو النفس ، استوحاه مما يشاهده في الحياة من « نوم وراحة ، ومرض وموت ، ومن احلام ورؤى » وهذه الاعراض كلها اظهرت له الانسان بمزول عن النفس وتحت سيطرتها وقوتها .

(٤) هذه الكلمة تعريب الاستاذ عباس محمود العقاد ، وينالطه في ذلك الاستاذ

اسماعيل مظهر ؛ ومهما يكن فانا نستعملها الآن ريثما نمثر على كلمة اوفق تؤدي المعنى كلاً . « المقتطف » ، اغسطس ١٩٤٧

(5) cfr. D. T. C., col. 2187 sq.

نظريات شخصية - المعادن

وبما اننا لا نعرف شيئاً ما لم يرّ اولاً في حواسنا ، هكذا الرجل البدائي اخذ يتصور حسب عقليته آلهته ، وكما يقول اكسانوفون : « ان الناس هم الذين استحدثوا الالهة و اضافوا اليهم عواطفهم و صرتهم و هيئتهم ؛ فالاحباش يقولون عن آلهتهم انهم سود ، فطس الانوف ؛ ويقول اهل تراقية ان آلهتهم زرق العيون ، حمر الشعور ؛ ولو استطاعت الثيرة والحيل لصورت الالهة على مثالها ؛ وقد وصفها هوميروس وهزيود بما هي عند الناس موضوع تحقير وملامة » . ثم اخذ يخصص ويوضح ، ويقسم ويجتم ارواح آلهته في الاشياء المادية المحيطة به ، وابتدأ فوضع في هذه الاشياء المادية بدأين : النفس والجسد دون ان يفكر بفروق جوهرية بينه وبينها ، وهكذا عبد الحجارة والامكنة^(٦) ، نظر الى البرق والعراصف فهالته ، والبحر بامواجه الثائرة ، والنار والانهار والاهوية والارض كلها صارت في نظره آلهة ، فهو ، ان كانت قاسية ، يهرب منها ويخاف ، وان صالحة ، يتودّد اليها ويتعجب . وهكذا قرب الانسان آلهته من عقله اذا اقتربت من عينه وبديه .

النبات والشجر

ثم ارتفع الانسان البدائي بالاستجابة الى النباتات والاشجار^(٧) وهي في نظره مبعث للقوة والبأس ، او رمز للنعومة والظرافة ، و احياناً تؤله شجرة اقربها من مكان مقدس او لأنها مسّت حجراً مقدساً ، و احياناً دورة السنة بفصولها ، او حبة القمح ترمى في الارض فتموت ثم تركو ، او البيضة ينقعهما الفرخ الصغير ويخرج منها مملوءاً من الحياة ، كلها تصبح رموزاً للقوى الهائلة

(٦ و ٧) « الرسالة المخلّصية » ، ديانة العرب قبل الاسلام ، ك ١٩٤٣ و ١٩٤٤ ،

المحتبنة في الاجواء ، والواقفة على سير الطبيعة المنتظم .

الطواطمية (٨)

ولم يكتفِ الانسان البدائي ، فانه رافق الحيوانات وتكاثرها باغرب الدهشة والخيرة فهي تولد وتكبر ، وتكبر حتى تفوقه قوة وجسماً وهولاً ، فلم لا يسترضيها فينجو من اذائها او يقبل في احضانه انعاماتها واحساناتها ؟ وهكذا اعتقد الانسان بان علاقة دموية تصله وقبيلته مع هذا الحيوان ، ولذا فالانسان اخذ يقدر هذا الحيوان ويحترمه ويكرمه . ونتج من ذلك عبادة مقدسة ، دُعيت بعبادة الطواطم او الطواطمية Totémisme ، ولكن الانسان في هذه العبادة وقف عند القشرة ، ولم ينفذ الى اللب ، خلبه المنظر الخارجي فألبسه ما يراه في الداخل من قوة مجازية او مقاصّة ، ومن مبدا سام يجب ويرذل .

الطاوية (٩)

والتحققت بهذه الطواطمية الرضعية عبادة سلبية دُعيت بالطابات او الطاوية Tabouisme وهي مجموعة اوامر ونواهٍ ؛ فالقبيلة التي اتخذت لها طوطماً احد الحيوانات « لا يجوز لها ان تقتله او تسيء اليه او تأكله الا في الذبيحة للتكفير ، كما لا يحق لها ان تمسه او تنظر اليه »^(١٠) . ولكن هذه الموانع كانت تتغير حسب مقتضى الاحوال ، وكما يقول احد الكتبة الذين تعمقوا في هذا الموضوع : « ان الحيوان او النبات الذي اتفق ان يُتَمَنَع عنه ، يُصَهِر مرة مقدساً واخرى دنساً ، وفي الحقيقة ليس الحيوان بقُدس ولا بدنس بل هو « طابو » ، فالبقرة هي طابو عند الهنود ، والحزير « طابو » عند غيرهم ، والكتاب

(٨ و ٩) « المقتطف » ، ١٥ اغسطس ١٩٤٧ ، صفحة ١٢٨

(10) Mgr. Le Roy: Religions des Primitifs.

«طابو» في اغلب بلدان اوروبا» (١١) .

الجدود

ثم ارتفع البدائي الى ما فوق الحيوان ، الى الانسان فهو اكل خليقة ، وانتقى ، للحال ، فئة الاجداد والآباء والرؤساء والملوك والكهنة الذين عاشوا وتعبوا في حياتهم ثم قضوا ؛ وكرم الاحفاد ارواح كل هذه الفئات ، واقاموا لهم المعابد والتماثيل ؛ واكثر ما تتجه العبادة والذكرى الى المحسنين او الى الكهنة الوسطاء بين الله والناس ، او الملوك الذين يتصلون بسلطتهم مع الآلهة ، هكذا في مصر آله الاسكندر (١٢) والفراعنة كلهم ، وبُنيت لهم النواويس والاهرام العظيمة ، الناطقة حتى الآن بمجدهم وعظمتهم وربوبيتهم .

السحر

وقلّون الاستحياء بلون آخر ، فلم يكتب الانسان بما «اخترعه لنفسه من الآلهة لترعه عن عمل الشر وقعوده الى الخير» بل «نظر الى الكون وصنعه ، فقال لا بد من مهندس قدير يدير حركاته ، ويسير افلاكه» ، فكان ان ارتفع فوق الانسان الى الارواح ، صالحة او شريرة ، واخذ يستنجد بها ، وغالى في استنجدها ، فوقع في ما نسميه اليوم «السحر» واخذت النتائج الغريبة توافيه ، فتخلب عقله ، وتخيّره ، فيقف مههوراً امام هذه الارواح والجنيات ، لا يفهما انما يشعر بما تصنعه ، ولا بدع اذا عبدها ، وعقر الجبين امامها . واذا لم تنتبه مرة هذه الارواح الصلي ، فحينئذ يزيد هذا في الابتهال والتوسل لانه يرغب شديداً

(11) Salomon Reinach, *Orpheus: Histoire générale des religions*, Paris, 1909, P. 5-8; — *Etudes*: 5 avril 1909, P. 21-54; *Recherches de Science religieuse*, Janvier 1910.

(12) G. Maspero: *Comment Alexandre devint Dieu en Egypte*.

ان يرى نتيجة محسوسة لصلواته ، ولذلك يقع في الحرافات المستهجنة مثل « اعتقاد الرومانيين بالايام السعيدة والمشؤومة او بطيران العاصير او بملاحظة احشاء الذبائح ليقرروا سفراتهم وغزواتهم وحرورهم »^(١٣) .

الشرك

والنتيجة المحتمة الكل ما تقدم هي الشرك . فالبدائي رأى ذاته كأنها محوط بالآلهة ، ولذا اتخذها كلها واكثر منها ، ولم لا يكون اله يحميه هو ، وآخر يحمي العائلة ، واخر يحمي الغلال ، وآخر ينصره على الاعداء ، هذا الاله النار والهواء ، والجبال والشمس والقمر ، والنجوم . . . وغيرها كثير حتى تصدق كلمة بوصويت هنا ايضاً : « لقد آله كل شي . الا الله وحده » .

التوحيد

وعندما تعبت البشرية من هذه الكثرة الغريبة نفضت عنها كل هذه الآلهة وتمسكت باله واحد . « وعندما ظهرت الديانات السماوية ، اعتنقها الانسان » . اما كيف ظهرت هذه الاديان السماوية ، وما كان الدليل على انها سماوية ، او هل هي حقيقة سماوية ام مجرد تطور طبيعي ، او هل هي ديانات كثيرة ام دين واحد فقط يضم فيه مصدر ومبعث الدين في كل ناطق ، هذا ما لم يكلمنا عنه اصحاب مذهب التطور . ولكنهم يقصدون بذلك ان يعالوا الحدث الواقع اي ان يشرحوا وجود التوحيد في العالم .

الغريب

اما هذا التطور فغريب جداً اذ التوحيد قد سبق الشرك ، ولم يكن الشرك الا زيفاً قد استحوذ على الشعوب ، عندما تفرقت في الارض سُرداً ، وتناست قليلاً قليلاً ما كانت تنعم به من الحقائق والطقوس في عبادة التوحيد .

وغريب ايضاً ان نغزو الى الاقوام السذج الأول ، الاستحياء كدين اول لان هذه النظرية اصعب بكثير على الفهم من الشعور البديهي الذي يميل بالعقل والارادة والقلب الى العبادة والتدين فضلاً عن ان اصحاب هذه النظرية يقولون بها ولا يدعونها باي برهان مقنع بل لا يحلّون النقطة الرئيسية فيها : ما هو الاصل والمبعث والدافع لهذه الديانات ، استحياء كانت ام شركاً ام غيرها .
وليس السحر بمنشأ للدين لان السحرة بين الشعوب كانوا دائماً بمثابة كهنة يثوبون عن الشعب في العبادة العمومية ، ويستنكر العقل ان يكون خدام الدين اسبق ، في الزمن ، من الدين عينه ، وعلاوة على ذلك فالتاريخ يشهد بان السحر والدين قد وجدا في كل عصر ، ولكن اكل قرائنه الخاصة التي تناقض قرائن الآخر . . .

النشوء الاجتماعي Sociologisme

وهذه نظرية تقوم على انقراض الاولى وتجتهد بشرح الحدث الديني . واصحابها المتمسكون بها من خيرة المعلمين نظير دور كيم Durkheim وموس Mauss وليفي Lévy وجوبيرت Gubert وغيرهم ، وهم يقولون بان الحدث الديني خارج عن الشخص المتدين ، يُستقى من الجمعية ، ويتعلق الانسان به « حفظاً للمجموع من طمّان الفرد » ، فالفرد مدين بجماعته للجمعية ، منها يتقبل الشرائع والقوانين الادبية ، الجمعية تحافظ عليه من طمّان الظلمة ، الجمعية توفر له كل اسباب الرفاهية والهناء ، والجمعية هي له كل شيء . لانه لها ولا يمكنه ان يعيش الا فيها ، وازاء هذه الافضال يجعل الفرد يكرمها ويعبدها كأنها له الاله المنظور . ويزيد الاجتماعيون فيبرهنون على ان الجمعية هي سبب الديانة : « ان العبادة وكل المظاهر الخارجية الدينية كانت دوماً مقترنة بالحياة الاجتماعية »⁽¹⁴⁾

(14) cfr. Abbé Boulanger: *Manuel d'Apologétique*, p.138.

ويؤكد الكاتب برونتيير « ان لا توجد ديانة فردية البتة ولا يمكن احداً ان يتفرد بديانته ، اكثر مما يمكنه ان يتفرد بعائلته او بوطنه ؛ فالوطن ، والعائلة ، والديانة هي مفردات عومية ان وجدت مفردات هكذا » (١٥) .

على ان هذا التعليل لاصل الدين يظهر لنا ضعيفاً واهياً . انا نسلم ان من مظاهر الدين ان يكون عميقاً شاملاً ، ولا عجب في ذلك ، فما يربطنا بالله هو واحد لكل البشر ، ومع هذا فانا لانستطيع ان نؤكد ان الانسان لا يكون متديناً الا اذا كان في الجمعية ، او ان مبعث الدين هو الجمعية ، فكهم رأينا من السياح والرهبان والمتوحدين يعيشون في الصحارى والقفار ، ومع هذا فلا احد يشك بتدينهم وهم بعيدون عن الجمعية .

والآخذون بهذه النظرية ، لا يفرقون بين الالزام الادي الذي يفرضه الدين ، وبين التأديب الذي تتزله الجمعية بخائفي شرائعها الخارجية ، فالاول داخلي محض ، لا يتعدى الشخص ، والثاني خارجي ، لا ينفذ الى داخل الشخص .

صوت الحق

في وضوآء هذه الاقاويل المتنافية ، تشع نظرية هي اشعاع للحقيقة الخالدة التي وضعها الله الخالق ككزاً في اعماق قلوبنا : « الدين نتيجة حاجة في الانسان داخلية ، مُلِحَةٌ لا تُغلب » فهي تزعمة لا يمكن ان تُخنق ، ورغبة لا يمكن ان تطفأ ، ونور لا يزال يشع مهما ابتعد الانسان عن ضالته المنشودة ، هي صوت يذكرنا بتلك الحالة الاولى مع الوحي الاول في جنة عدن ، ولا يزال الصوت يصرخ ، ويقوي في صرخاته مطالباً بالحقيقة والسعادة والترتيب .

يطالب بالحقيقة لان الانسان مخلوق عاقل ، يريد ان يفهم من اين اتى ،

وكيف اتى وما القوة التي اوجدته ، والى اين يذهب ، وما مصيره بعد هذه الحياة ، كل هذه نقاط يريد لها حلاً موافقاً مقنعاً .

يطالب بالسعادة لانه مخلوق يريد ويجب ولا يزال يضي سراً الى غاياته وغمياته يتوهمها في الخيرات الزائلة ، ولكنه يعرض عنها وفي القلب عطش اليم الى غير سعادة وغير هناء ، وسيبقى القلب مضطرباً ، ما لم يسترح في موضوع عالٍ وسام وقادر على ان يلا هذه الرغبات الواسعة .

ويطالب بالترتيب لانه مركب من نفس وجسد ، له حواسه التي تريد ان تتهيج وتسرع «يهده النظام» وان تشترك بتأدية الشكر والتسبيح للكائن الاعلى ، وبذلك تبين باجلى مظهر عن خضوعها وحبها واحترامها لهذا الكائن الازلي الخالق .

وكل ذلك ، اي نور العقل وهناء الارادة وجمال النظام ، لا نجد الا في الديانة، القادرة ان تشبع كل رغائب الانسان بما فيها من عقائد للعقل ، وواجبات للارادة وطقوس خارجية للجسد كما يقول الاستاذ موريس جاسترو^(١٦) والاب جوزف هوبي^(١٧) .

وما دام الانسان في قيد الحياة يستلزم وجوده ضرورة وجود الدين لان الانسان خليفة ضعيفة ، ومن اعماق كيانه تنبعث الحاجة الى طلب العون . ومن يمكنه ان يجيب على هذا النداء الا الذي يسبر القلوب والكلبي ؟ ولولا الدين لكان الله خيب رغبة طبيعية شاملة ويُجَلُّ صلاح الله وصدقه عن ان يوجه الطبيعة الى هدف ثم يحرمها هذا الهدف ، وبالاحرى ان لا يكون ثم هدف ،

(16) Morris Jastrow, *The study of Religion, New-york 1901, P. 170.*

(17) P. J. Huby, *Christus, p. 14.*

فكما ان وجود الجناح في الطير يستلزم وجود الهواء ، وزعانف السمك تستلزم وجود الماء - والا لكان الله خيَّب الطبيعة في ما وجهها اليه - كذلك حاجة الانسان الى المعونة ، وعطشه الشديد الى انشاء علاقات معه تعالى ، تستلزم وجود الدين .

وهذه الرغبة في الالتجاء الى الله طفرت بجملة مظاهر ، فضلاً عن انها غاية كل الاديان بالاجمال . وبعض من قدماء اليونان كانوا يكثرون من الحرق حتى السكر ، اعتقاداً منهم ان السكر يمزجهم بالاله « باخوس » ، ومثل هذه التزعة حدثت بالتصوفين الى اطوارهم المستعربة ، وهي عينها لا تزال تعمل في متصوفي الهند و« فقرائها » . . .

ومن مظاهر هذه التزعة ايضاً الميل الى الخير والجمال ، وعدم الارتواء منها ما دامت متناهية ارضية . فامام الخيرات الارضية يقف الانسان حراً ، ثم يختار هذا الخير دون ذلك ؛ فاختياره هذا هو دليل على ان ما يختار ، ليس بالخير الاصيل السامي ، الذي تنزع اليه طبيعته ، والا لما كان استطاع الاختيار ، اذ الارادة ليست حرّة امام موضوعها الكامل . ويبقى الانسان في هذه الحرية ، وهذا « القلق » الى « ان يستريح في الله » غايته الاخيرة والوحيدية .

وهذا القلق يتأكل الانسان حرقةً ومأماً ، ولا يكفي ان اللامبالين لا يابهون له حتى يصبح اقل حرقة . « لماذا اراك تجهد ذاتك محاولاً ان تعرف من اين جئت والى اين تذهب . . . ان تتوصّل الى معرفة شيء من هذا ، فارم اذن جانباً هذه الاوهام ، فانها مرض أليم ، والدواء الوحيد للتخلص منها هو ان لا نجابه حلأها » (Littré) « ولكن كيف نعيش بسلام كما يقول جوفروا ، عندما لا نعرف من اين اتينا ، ولا الى اين سنذهب ، ولا ما يجب ان نعمله هنا ؟ كيف نعيش بسلام عندما نرى كل شيء انزواً وسراً وسبباً للشك

والسَّام» (١٨).

اما الدين فينشل الانسان . من هذه الضيقات ويديه « من اين اتى » و « الى اين يذهب » وما هي « هذه الاشياء المحيطة به » وما هو « حظها ومصيرها » فيرتاح اذ ذلك وينتظر بفرح استراحته الكاملة في مشاهدة الله وجهاً لوجه .
وليس ان الدين ملجأ للانسان ونجدة فقط ، بل هو ايضاً فرض واجب لله تعالى . فهو الخالق والمنظّم والمكافئ ، والانسان هو موضوع عنايته وتدييره ووقايته . فالاقرار بفضله تعالى واجب صريح . فكخلاق ، له حق على عبادتنا ، وكمناية ساهرة ، له حق على امتناننا وشكرنا ، وكشترع ، له حق على ان نطيع شريعته الالهية التي ثبتها في اعماق قلوبنا .

وتجاه احسانات الله العظيمة يندفع الانسان كأنما بداهة ، الى افعال العبادة والدين ، وسواء اجاب نداء العقل او الارادة او القلب او الثلاثة معاً فهو محمول على ان يعترف باحسان الله فيهده ويسبحه ويستنجده لضيقات الحياة ، ويتبع رسومه واحكامه تعالى ، التي ختم بها قلب الانسان وضميره ، ثم اعلنها بواسطة الوحي الالهي ؛ ولقد قال « كانت » : « شيطان يعلان نفسي دهشة مستمرة : قُبب السماء النيرة فوق رؤوسنا ، والشريعة الادية في اعماق قلوبنا » .

وخلاصة القول ان الدين لو انبعث عن افعال عابر لاندثر من القلوب بأندثار هذا الانفعال ؛ اما وقد اضمحلت كل تلك الاسباب التي يلجأ اليها اعداء الدين الكاثوليكي ، ولم يضمحل الدين ، فبقي ان الدين ينبعث فقط عن زعة خاصة في كل فرد ، متأصلة في اعماق الكيان البشري ؛ وهذا الانفعال ، اما ان يتولد في النفس بديبياً كما يتولد حب الانسان للحياة والنور ، واما ان ينشأ عن مقارنات العقل الواعي ؛ وفي كالتا الحالتين نضطر الى الاقرار بدوام وشمول الحدث الديني .

(18) cfr. Jouffroy: *Mélanges philosophiques*.

ولست كثرة الديانات في العالم الا جملة محاولات الرجوع الى الدين الحقيقي الموحى واخص حقايقه، لان الله لم يترك الانسان لقواه الطبيعية في امر الخلاص، بل اوحى له كنه الدين والحقايق التي تفيده للحياة الفاتكة . وقد تقربت تلك الديانات من هذا الدين الوحيد السماوي ، بعضها اكثر ، وبعضها اقل ، وهو منذ فجر الخليقة ، الى عهد موسى الكليم والمشرع العظيم ، الى مسرحية فلسطين ، ومأساة الجلجلة والى فناء الحقب ، ما زال في العالم يفيض بنور الخلاص ، ويدعو الى الاهتداء بحقايقه مدرجة « للحياة » .

قرب الله موعد الاتفاق العميم ، يوم لا يكون الا « راع واحد ورعية واحدة » .



﴿ الدين في الحياة ﴾

قيل : لا دين لمن لا عقل له ، ولا عمل لمن لا دين له ، ولا يوفق من لا دين له ، ولا يسود سيء الخلق ، ولا يحب المعجب بنفسه ، ولا يستجاب دعاء الحقود . اما من قويت ديانته فقد وجبت كرامته ، ومن حسنت نيته رغب في مودته ، ومن كتم سره ملك امره ، ومن ركب العجلة ركبته الملامة ، ومن استولى عليه التواني احاطت به الندامة ، ومن استعمل الخزم فاز بالسلامة !
من كتاب دفع الهم

الرهبان الفرنسيون في دمشق

للاستاذ ميب السورني

كان الرهبان الفرنسيون يترددون الى دمشق منذ القدم ، والحبر الاعظم غريغوريوس التاسع اوفد البعض منهم في سنة ١٢٣٣ الى الملك الاشرف سلطان دمشق يحملون اليه رسالة بعث بها اليه ذاك الحبر الاعظم . ومنذ ذاك الحين لم ينقطع الرهبان عن الاقامة في سورية الا عندما كان الاضطهاد يشتد عليهم ، ويقدرّون بتسعة وعشرين راهباً عدد الذين اقوا حتفهم في دمشق بين سنة ١٢٨٩ وسنة ١٧٦٠ ؛ فكان يُنكّل بهم على سبيل الانتقام كلما حصل تعدّي من الدول المسيحية على البلاد العثمانية . فهكذا في السنة ١٣٦٥ عندما شرع بطرس ده لوسينيان عاهل جزيرة قبرص يشنّ الغارة على سواحل سورية ويعيث فيها خراباً ، ويفزرو مدينة الاسكندرية معملاً فيها السلب والنهب ، كان المسلمون يقبضون على الرهبان الفرنسيين الذين في دمشق والقدس ويلقونهم في السجون ثم يميتونهم .

ومن الذين نالهم الحيف واحدق بهم الخطر آنشد المطران يعقوب اسقف اهدن الماروني ، واكنه نجا بنفسه بهربه من دمشق ، كما يؤخذ مما كتبه في ذيل الانجيل الذي نسخته في سنة ١٣٦٥ .

ولما اقتحم القرصان الكتلاتيون سفن السلطان في سنة ١٤٤٢ ، ونهبوا ما عليها ، انتقم السلطان من الرهبان الفرنسيين باقتنائهم عن البلاد . وكان نصيبهم السجن والعذاب في سنة ١٥١٠ عندما انتصر فرسان رودس على الاسطول التركي في جوار مدينة يافا . وذات هذا الامر جرى

لهم في السنة ١٥٧١ اذ ظفر المسيحيون بالاتراك في لينت .
 واما في السنة ١٨٦٠ فانه اصابهم ما اصاب غيرهم من سكان حارة
 النصارى .

ذلك هو بالايجاز بعض ما اصابهم منذ ما وفدوا على هذه البلاد ، غير انه
 لا السجن ولا العذاب ولا الموت كان يثبط عزائمهم او يفت من عضدهم ،
 ويصرفهم عن الغاية التي وطنوا النفس على بذل كل غالٍ ونفيس في سبيلها .
 فكانوا بعد كل نكبة تلم بهم يزدادون نشاطاً وثباتاً في عقيدتهم . فكانوا
 من هذا القبيل كالطود الذي لا تقوى على زحزحته الارياح مهما عصفت
 واشتدت .

وقد يتبادر الى الذهن انهم لم يكونوا في الحقب الاولى يقيمون بدير
 رسمي كالذي صار لهم بعدئذ ، بل كانوا يارون الى بيوت المسيحيين من غير
 ان يجروا على الظهور ، حتى انهم في القرن السابع عشر لم يكن لهم كنيسة
 خاصة بهم ، والدليل على ذلك ان احدهم قبض عليه والقي في السجن لانه
 اقام ذبيحة القداس سرّاً في كنيسة الموارنة . ومن جرآه الاضطهاد الذي حاق
 من ثم بموارنة دمشق ، واكراه كاهنهم على الهرب حوالي السنة ١٦٦٨ ، ابتاعوا
 من الموارنة كنيستهم ، وبعد ما بقيت نصف قرن في حوزتهم اعادوها الى
 اصحابها الاصليين في الثامن عشر من شهر شباط سنة ١٧١٧ ، واقاموا
 لانفسهم ديراً وكنيسة ذهباً طعماً للنار في حوادث سنة ١٨٦٠ وكان في ديرهم
 آنذ مدرسة للصبيان تلقى فيها مبادئ السريانية والعربية عبدالله مسابكي
 الدمشقي الذي اعطي درجة الكهنوت في مجمع نشر الايمان بروما سنة ١٨٣٠
 وقد زاول التدريس فيها مخايل وفرنسيس مسابكي وعمه عبد المعطي اللذين
 لقيا حتفهما في حوادث ١٨٦٠ المار ذكرها .

اذن الدير الذي اقامره في دمشق في الربع الاول للقرن الثامن عشر بقي على حاله حتى السنة ١٨٦٠ . ولما هذأت الاحوال واستتبَّت الامور بما تذرَع به من الخزم والعزم موفد السلطان فؤاد باشا عقيب حوادث تلك السنة المشؤومة ووَزَعَت التعويضات على المنكوبين ، بادر الرهبان الى انشاء دير جديد لهم على انقاض القديم بالمال الذي اصابره على سبيل التعويض ، فجاء صرحاً متين البناء اشبه بالقلاع منه بدير رهبان ، وجعلوا على سطوحه جدراناً كالتاريس ، حتى اذا فاجأهم الخطر تستى لهم ان يمتنعوا فيه ويحموا ضمن حيطانه من يطرق بابهم لاثنأ بهم كما فعلوا في اثناء الثورة الدامية التي نشبت في سنة ١٩٢٥ .

بيد أنه تراءى لرئيسهم الاعلى في السنة ١٩٣٦ ان ذاك الدير كما بني بعد حوادث ١٨٦٠ قديم الطراز عديم الاناقة ، لا يليق ان يكون مقاماً يتوافر اليه الزوار للتبرك بذخائر الشهداء المحفوظة فيه ، فأمر بدكّه واقامة دير جديد مكانه اتفق المهندسة جميل المنظر شيّدوا فيه برجاً للاجراس ، وهو اعلى بناء في هذا الجانب من المدينة ، وقرب قمته ساعة كبيرة تُسمع دقاتها من بعيد .

واما الكنيسة فانهم زادوا في متانتها واطولوا الى اقواسها القديمة قوساً جديداً من الجانبين فصارت اطول مما كانت عليه . وجعلوا قرب بابها الى اليمين مصلىً جميلاً بذبج في اعلاه صورة الشهداء بالنسيفساء الفاخرة وتلوت من الباور أطره مذهبة بديعة الصنع ، عرضوا فيه ما عثروا عليه من رفاتهم . وفصلوا المصلى عن ارض الكنيسة بجازع عال من المعدن المشبوك على احسن نط .

وما يلفت النظر قطعة من الرخام في الحائط الشمالي كتب عليها بالايطالية :

D. O. M.
 Qui Riposano le Osse
 del
 P. Tomaso da Sardinia
 Missionari Apost. Cappucino
 Assassinato dagli Ebrei
 Il giorno 5 de Febbrayo del
 anno 1840

وبالعربية :

رُتبه الاب توما الكبوشي وانذب مقامه
 مرسل رسولي لشام يعظ ويبدي اهتمامه
 فذبحوه يهوذا فلم تجده بتمامه
 في خامس اسباط اريخ هذه بقايا عظامه

اذن قبل سنة ١٨٦٠ كان للرهبان الكبوشيين مكان اقامة بلصق دير
 اخوانهم الفرنسيين ، والرهبانيتان تنتسبان الى القديس فرنسيس . وزي
 اسكيمهما واحد مع اختلاف يسير في اللون . وقد جرى لدار الراهبان
 الكبوشيين ما جرى لباقي الديورة والكنائس والمنازل في غضون الاضطراب
 الذي اشترنا اليه ، غير ان اصحابها لم يقدموا بعد خرابها واستتباب الامور على
 اقامة دار جديدة لهم حتى انهم لم يرغبوا في الاقامة بدمشق ، فابتاع ارضها
 المرحوم الياس زيات وبني على انقاضها منزلاً تقطن ذريته اليوم فيه .

واما الاب توما الكبوشي فانه كان يتردد على حارة اليهود ليطعمهم
 بالطعم الواقي من الجدري ، فاغتيل هناك بكيدة خسية ؛ واشلاؤه بعدما عثر
 عليها في ميزاب من ميازيب تلك الحارة حملت الى داره ودُفنت فيها ، ثم

نقلت الى دير الفرنسيسيين حيث لم تزل حتى اليوم .
 وللدلالة على المكان حيث دفنت بقايا الرهبان الثمانية الذين لقوا حتفهم
 في حوادث سنة ١٨٦٠ ، وضعوا في ارض الكنيسة الى اليمين وعلى مسافة
 يسيرة من المصلى الجديد الذي مر بنا وصفه ، قطعة كبيرة من الرخام نقش
 عليها ما يلي :

Haec Quescunt Corpora

P. Emmanuelis Ruyz	P. Carmeli Bolta
P. Angeli (Engelbert) Kolland	P. Nicolai Alberca
P. Petri Soller	P. Nicanoris Ascanis
Fr. Francisi Pinazo	Fr. Joan Jacobi Fernandez

Francis calium

VII. Id. IVLI — MDCCCLX

Damasei Multiformitter interfactorum

و دير الفرنسيسيين في دمشق منسوب الى الاسبانيين . واهل الدولة او الامة
 الاسبانية كانتا تقرمان بنفقاته ونفقات رهبانه ؛ فان معظم ما فيه من الاواني
 البيعية وهبتها له ، والحلل الكهنوتية يرى على افخرها شعار اسبانيا الملوكي
 كما ان اكثر الرهبان الذين توالوا عليه منذ القدم اسبانيو الاصل .

انحجاب « الرسالة »

ستنحجب الرسالة في شهري العطة (آب وايلول) على ان
 ترسل بدل ذلك هدية تاريخية عن بلادنا .



الانجيل دعوة الى التفوق



يحتاز العالم اليوم عصرآ تكاثرث فيه الدعوات وتنوعت المذاهب . فقام من كل فنة ومن كل حزب دعاة يتسابقون في اذاعة دعوتهم ، واتخاذ الوسائل الناجمة المههدة للسبيل للغاية التي يهدفون اليها . وكل دعوة قدزاع تصادف حتماً انساناً حسيين يؤخذون بما تنطوي عليه من حقيقة وجمال ينسجم مع جمال عالمهم النفسي . فالمذاهب كلها ، هما امعنث في الضلال يبعثي فيها روح من الحقيقة ، كما يقول الاب غرتري (Graty) : « Toute erreur contient une âme de la vérité » ، نجسم طائفة خيرة من العواطف والاهداف النبيلة . ولقد يحس الانسان بها في اعماق روجه احساساً مبهماً ؛ غير ان هذا الشعور الغامض لا يظهر ان لم يكن في النفس افتتان وتعشق تثيرهما شخصية فذة تكون قد سهرت غور النفس ومدى شعورها . والمسيح الذي لا تخنى عليه خلجة من خلجات الانسانية ، الواقف على نزعات الطبيعة وقواها ، قد اذاع في انجيله دعوة ريانة بالحياة تجبوها تفتحاً كاملاً وانبساطاً لا غضون فيه ولا اثر للعكبت والاجهاد . واقد احتفظت هذه الدعوة بنضارة الشباب متفלתة من قيود الزمن وعوامل الفناء لانها تحمل مشعل الحياة الحققة الذي لا ينطفئ ولا يجبور .هما تقلبت العصور وتبدلت الحضارات وتطورت عقلية الانسان .

ان كل انسان يتساءل في ساعة تفكيره الرصين ما هي الحياة وما ينبغي عليه ان يعمل بهذه الهبة الشمينة ؟ فيا ايها الساعي وراآ . الحقيقة

والظالمى . الى النور ، هلم الى الانجيل واقرا في صفحاته اوفى الردود واصدقها
لهذه المسائل التي لا يقوى الزمن معها اسودت وجوهه ان يقصها عن فكر
وقلب كل فتى صادق الغزيرة . لقد تقدم المسيح ، شأن كل الداعين الى المذاهب
والاديان ، ببرنامج رائع ودستور للحياة يتنازع برامجهم ويفرقها الى
اقصى حدود التفوق ، لان كل نقطة من نقاطه وكل حرف من حروفه قد
تخيّر في عالم الواقع وسرت فيه دفقة من حياة المسيح القدوسة . وان التعليم
الذي اتى به ودعمه بالاعمال وثبته بالآيات لهو اقرب الامور الى الصواب ان
لم يكن هو الصواب عينه .

وان من اروع التشابيه التي سرت على لسان المسيح واقربها الى الطبيعة
والحياة هو تشبيهه ذاته بالراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن خرافه ذارناً
عنها سطوة الذئاب المفترسة ، محتفظاً لها بالحياة : « انا الراعي الصالح ،
والراعي الصالح يبذل نفسه عن خرافه لتكون لها الحياة ، ولتكون لها
اوفر » . فهو يجب الحياة غزيرة متدفقة تنبع من قاب الحقيقة وتفيض في
كل حركاتنا وسكناتنا .

ان تعليم المسيح يجب ان يتفق وانظمة الطبيعة وشرائنها . فاذا القينا
نظرة دقيقة على الطبيعة الحية نرى ان كل حي فيها يشعر بحاجة الى النمو
وبحاجة الى توزيع هذا النمو على كل من يجاوره ويختلط به من الخلائق ،
لانه يشعر بتزعة فيه الى تمديد كيانه في عالم ابعد من عالم نفسه . وتصدر
هاتان الرغبتان في الكائن البشري عن اعماق طبيعته . فلذا تراه مرغماً على
التكامل والنمو في كل الحقول مهما تشعبت واتسعت . نراه دائب السعي
الى مضاعفة ثروته ، وازدياد نعيمه ، ورفع مستوى قواه الادبية والعقلية .
فالانسان ، كما يقول جاك مريتان ، هو خطوط مبهمة غامضة لكيانه الحقيقي

« L'homme est une ébauche nocturne de lui-même » ، وتلك الخطوط تفتقر الى توضيح وتكميل مستمر لتأتي صورة تشابه بعض الشبه صورته المثالية . وكلما ازداد تكملاً ونضوجاً ازدادت فيه الرغبة في ان يشغل قواه الادبية والجسدية فيسمى للخروج من حدوده الذاتية الضيقة لان الانسان الحي يكره العقم والجود لانها نذيرا الموت ، ويجب السعي الوناب الى التكميل والتفوق على الذات اللذين يدلان دلالة واضحة على الحياة الحققة الخصبة .

والاختبار ايضا دروس لها قيمتها وتأثيرها الكبير على فهم الحياة وتوجيهها التوجيه القويم . ولقد يبين من الملاحظة النفسية ان رغباتنا وآمالنا تشكو ألم الجوع الذي لا يشبع ، وان حيننا للتفوق على ذواتنا لا يرتوي ولا يقف عند حد . واننا لنلمس الفروق الكبيرة بين الرغبات والآمال التي تحتلج في قلوبنا وبين القدرة التي اوتيناها للحصول عليها . فالعلم بكل فروعه ، والحضارة الحديثة المدهشة هما وليدا رغبة التفوق على الذات وعلى الحالة الحاضرة التي نحن فيها . قدماً كان اجدادنا يسرون على اقدامهم في اسفارهم معانين ضنى السير الطويل ، لكنهم لم يقنعوا طويلاً بهذه الحالة المتعبة ، فاستنبتت لهم رغبة التفوق على حالتهم حيلة مكنتهم من السيطرة على الفرس والحمار وباقي الحيوانات الداجنة ، واستعانوا بها على مغالبة الحياة والقيام باعبائها . وهكذا لا يزال الانسان سائراً في سبيل الحضارة الزاهرة ، لا يعرف لها حداً تنتهي اليه كأنه كما اوغل في سبيل التكميل والتفوق احسَّ بعطش محرق الى متابعة تكمله وتفوقه .

بعد هذه الامامة الضئيلة ببعض نواحي الاختبار النفسى نتساءل من

الذي غرس في قلوبنا هذه الرغبات التي لا تعرف للشبع وسيلة . افلا يكون الله قد خلق فينا هذا الجوع الى اللانهايي حتى لا نجد النعيم واللذة العميقة الا في حبه وحفظ انظمته ؟

ان هذه الرغبة في التفوق على الذات ، والترامي الى عالم غير عالمنا ، هل تتفق وروح الانجيل . أهي عبث الوهم في الادمعة المريضة والقلوب العليلية ، ام هي نزعة طبيعية متأصلة في اعماق الانسان ؟

يظن لنا الانجيل ان هذه الرغبة ليست وهمية ، لان المسيح قد بث بين تضايف سطور كتابه الالهي هذا مثلاً اعلى في التفوق على الذات لا يدانيه مثل مها سما وتأتى . ان الانجيل فتح امامنا آفاقاً فساحاً لا نهاية لها اذ جعل كمال الالوهة مثلنا الاعلى : « كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو كامل » اي لا تقنعوا بما بلغتم اليه من كمال وصفات سامية ولا تظنوا انكم تلبفون يوماً حداً ليس وراءه حد في الكمال . فهدفكم غير متناه ولا يداني : فاحملوا صليبيكم كل يوم ، اي تفوقوا على ذواتكم كل يوم لتقتربوا منه وتستوعبوا من روائه وبهائه ما استطاعت نفس طموح الى التقرب منه سبيلاً . على ان هناك اختلافاً بين دعوة المسيح ودعوة الطبيعة الزائفة التي تحثنا للتفوق على الذات لارضاء واشباع ميولها ورغباتها ، تحصر افق التفوق وتحصرنا في عالم متناه يفسد هناكنا ويورثنا القلق وكآبة الروح . يقول مفكر المسيحية الاعظم القديس اغوستينوس ان النفس غريبة ، منفية على هذه الارض يراردها حين متصل الى وطنها السماوي ، وتحس بجوع صارخ الى الالوهة . انها لا تحلد الى الراحة ولا تطمئن الى حال ان لم تشبع جوعها الى الله ، وكيف يتأتى لها ان تجني هذه اللذة وقد جعلت نفسها نقطة الدائرة لاعمالها ، وحصرت رغبتها في التفوق ضمن حدود

الانانية الضيقة التي لا تمتد الى عالم اللانهايي ، اما المسيح فيرتقي بهذه الرغبة الى الله فيمزجنا به ويرمجنا فيه ويغمرنا في بلاد غربتنا على الارض بذلك الجو المؤنس المنعش الذي سيكتشفنا في السماء .

يقول سلفيو بلكو (Sylvio Pellico) في « سجونته » : ان الديانة المسيحية توثب مستمر نحو الكمال ونداء عميق الى التفوق على الذات . لنواكبنا المسيح الى تلك الهضبة التي اذاع منها على العالم خطابه الرائع فبدل وجه البشرية وقوض أسسها الاخلاقية والادبية فدعي خطابه بجح ، شريعة العهد الجديد ، شريعة التفوق على الذات ، ولنسمعه يجادث تلاميذه بلطفه الأخاذ معيماً عليهم مجودهم مستحسناً اياهم للتفوق على نفوسهم وعلى بيئتهم لتفوق فضيلتهم على فضيلة الكتبة والفريسيين والأفلن ينالوا نصيباً مع بني المكوت : « ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات » . مع ان هؤلاء كانوا شديدي المحافظة على اوامر الشريعة ونواهيها وكان المسيح عالماً بتشديدتهم هذا المفرط . انما هو يعيب عليهم اعتقادهم ان لا برّاً يعالو على برّ الفريسيين ولاقداسة ترتفع فوق قداستهم الزائفة .

لا يعرف تلميذ المسيح الجورل والجود ، ولقد قضت الشريعة الجديدة على التناسب (Conformisme) في الاعمال الذي تطمئن اليه النفوس الضئيلة الحيوية . بل يجب عليه ، كما يقول مونتaign ، (Montaigne) ، ان تكون الكمية التي يقبض عليها اكبر من قبضته وان يكون غمره اكبر من يده الغامرة .

Il doit faire la poignée plus grande que le poing et la brassée plus grande que le bras .

فلهذه الغاية وسع المسيح دائرة واجباتنا . فلم يبلغ الشريعة القديمة بل شذب الاغصان الطفيلية الكثيفة التي كانت تمتص حيويتها ، وبث فيها نسمة حياة

وتفوق . لقد تفوق تعليم المسيح على الوصية القديمة الناهية عن القتل بتحريمه الشتيمة وبأمره بالصّبح عن الاهانة ، فعلى تلميذ المسيح لا ان يغفر سبع مرات فقط بل سبعين مرة سبع مرات متفوقاً على طبعه النزاع الى اخذ الثأر ، مغتفراً المسيء اليه كلما دعت فرصة للغفران . اقد تفوق المسيح على شريعة « السن بالسن والعين بالعين » وامر ان نحول الحد الايسر لمن يلطم الايمن . القى الربا واوصى بالبذل : « فان اقرضتم الذين ترجون ان تستوفوا منهم فاية منة لكم » اقد نقض حب المنفعة الذاتية بشريعة التنازل عن الحقوق والتجرد عن المنافع : « من سخرك ميلاً فامش معه ميلين » . واذاغ شريعة الحب المنعق من قيود الانانية المتفوق على العصبية والمصلحة : « احبوا اعداءكم ، احسنوا الى مبغضيتكم » ، تفوقوا على الوثنيين الذين يحبون من يحبهم ويحسنون الى من يحسن اليهم . وانتم ان تشبهتم بهم فاي فضل لكم وبماذا تفوقونهم لتستحقوا ملكوت السموات ؟

ان واجبات تلميذ المسيح لا تقوم بما هو مفروض على الجميع او بما يعملونه بل يفرض عليه ان يتفوق ويزيد على كل ذلك روحاً جديدة قدسية تسم اعماله بسمه الله وتطبعها بطابع الحياة الحقّة الوثابة . كان الفرديسيون والكتبة يطلقون احكامهم على ما يبدو للنظر من الاعمال غير مكترئين بالنية وبالادافع الخفي اليها ، فتفوق عليهم المسيح وطلب من تلميذه ان تكون له عن نية صافية مستقيمة ، لان الفضيلة تنبت في النفس ، وفيها ايضاً تعيث الرذيلة فساداً . فلا تقوم الزلة الجسيمة فقط بالاهانة الفظيعة التي تلتصق بالقریب ، بل تستوفي ايضاً فظاعتها من الغضب المتقد طيّ الضلوع ؛ كذلك المبرة المشكورة ليست ما يبهز الانظار ويستدعي الثناء . فحسب بل هي ايضاً ذلك العمل الذي يصنع بالحفا . لا يعرفه الا الله ولا يشهد له سوى الضمير .

قد يعترض البعض ان الهدف الذي يضعه المسيح لتلميذه صعب المنال لا تستطيع قوى الطبيعة ان تقترب منه . اجل يعلم يسوع ان تلميذه لن يصل يوماً الى مثله الاعلى في الحياة . لانه مثله الاعلى ، كسائر الامثال العليا ، لا يدانى ؛ يعمل الانسان للبلوغ اليه لكنه كلما اوسع خطاه نحوه تباعدت امامه الغاية وترامت المسافة . فحسب هذا الهدف السامي انه يجدو به نحو غاية سامية ليجني من السعي لادراكه فوائد لا يحصيها عد ؛ هذا فضلاً عن ان في الديانة المسيحية نقطة لا توجد في باقي الديانات والمذاهب المعتمدة في تكميل الانسان على قوى الانسان وهي ان الديانة حياة قبل ان تكون مذهباً ادبياً او اجتماعياً ، هي حياة مشتركة بين المسيح والانسان . فالمسيحي الورع العامل في كرم ابيه دائم الاختلا . بالله المقيم فيه يستمد منه القوة للتفوق على الذات في كل ظروف الحياة . فالانجيل هو نداء المسيح للعالم لكي يستثمر كل فرد من المجتمع وزناته استثماراً يأتلف ورغبته في التفوق على ذاته ولكي يتم اكبر مجهود يستطيع القيام به . وان هذا النداء المرتفع من سطور الانجيل هو الذي يحتاج اليه عصرنا الحاضر اكثر من النسيم الذي يستنشقه . لا يمكن ان يشفى عالمنا الحاضر من حقدته وحسده وكسله وانانيته الا اذا كثر فيه قادة الفكر الذين يأخذون معنى الحياة وقيمتها من مبادئ الانجيل . نحن في عصر لا يجوز فيه لتلميذ المسيح ان يكون منحط القوى ، متخاذل الهمة ، متخوفاً من التفوق على ذاته بل يجب عليه ان يكون في مقدمة كل من يسعى الى خير البشرية وعمرانها . فعصرنا عصر البطولة ، عصر الانجيل .

فيا من ينظر الى الحياة بنظرات ماؤها التفاؤل والثقة بالنفس ها المسيح

يدعوك الى البطولة ، الى التفوق على الذات ، ويرسم لك اروع هدف للحياة ! وانت ايها المتشوق الى السعادة والنعم ، والمفرم بحب البشرية ، هلم الى المسيح واقتف آثاره فان في اقتفائه السعادة لنفسك ، وامتلاك الخير ، ومفتاح الملكوت . تفوق على نفسك في كل الحقول ، ان الغلبة هي لك مهما اعتزضتك الصعاب وخانتك الظروف ، لان كل نفس تتفوق على ذاتها وترتفع فوق ذاتها ترتفع معها العالم كله ، كما يقول العالم نيومن



﴿ فضل السكوت ﴾

رب ساكت يعدُّ حكيماً ، ورب متكلمٍ يُكره لظول حديثه . من الساكتين من يسكت لانه لا يجد جواباً ، ومن يسكت لانه يعرف الاوقات . الانسان الحكيم يسكت الى حين ، اما العاقي والجاهل فلا يبالي بالاوقات . الكثير الكلام يعقت والمنساط جوراً يبعض .

(ابن سيراح ٢٠ : ٥ - ٨)

نصارى كسكر واسط قبل الاسلام

بقلم الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني



انجبت بغداد ، عاصمة الخلفاء
الأشهرين ، ومهبط العلماء والشعراء
المبرزين ؛ صديقنا الاستاذ يوسف
يعقوب مسكوني سليل المشاركة الذين
خدموا الانسانية فنقلوا العلوم اليونانية
الى العربية

وكفاه فخر أنه خريج ندوة ادب
المرحوم الاب انسطاس الكرملي فكان
من جلسائه ومناظريه ، الامر الذي لم
يكن يتاح الا للقليلين .

ولا بدع اذا كانت حكومة بغداد
السنية قد احسنت فقدرت كفاءة
الاستاذ مسكوني حق التقدير ، فاسندت
اليه ، على حدائه سنه ، وظيفة ملاحظ

خزانة كتبها . فان وظيفة كهذه لا يستطيع القيام بها الا من خضب الشيب ناصيته .
وهذه مصر كانت تستقدم احد اعضاء اكاديمية باريس الشيوخ للاضطلاع بمهمة كهذه .
فالمسكوني ، والحالة هذه ، يعد في مصاف هؤلاء الشيوخ .

نكتب هذا وبين ايدينا مجلة « الكتاب » المصرية نقليها فنرى ما غنى فيها ووشى ،
وبعض من جرائد بغداد والموصل وما فيها من قلمه السيل اضر دفاق . هذا وامامنا
الجزء الاول من آخر كتاب اخرجه الى عالم العلم ودعاه « من عبقريات نساء القرن
التاسع عشر » ، وقد قرظته مجلة « الرسالة المخلصية » بعددما الصادر في تشرين الثاني

(نوفمبر) سنة ١٩٤٧ ، صفحة ٥٥٧ ، بما هو جدير به .

ونعلم انه جادٌ لينجز الجزء الثاني منه ، اما هذا البحث الذي بين ايدينا فهو جزء من كتاب ضخيم تتجاوز صفحاته الستائة قضى مؤلفه العلامة نيفاً وعشر سنوات مستغلاً في تأليفه وامامه « تاريخ واسط مدينة الحجاج » . فكل ما اجتمع فيه من مزايا ، هي باذن الله ، بداية تبشرنا بحسن النهاية ، وبلوغ الغاية ، التي يتمناها له كل المحبين والسلام .

مراسل الرسالة ووكيلها بمصر

نعوم طاماز

النصرانية في بلاد ما بين النهرين عريقة قديمة يرجع تاريخها الى القرن الثالث المسيحي ، كما تشهد بذلك النصوص التاريخية ، والاخبار الكنائسية ، والوثائق الدينية ، لانها من الاديان السماوية التي قضت على الوثنية المنتشرة اوانذاك في جنوب العراق ، والمقتبسة من الاديان الوثنية التي كانت قد عمّت بلاد فارس وما جاورها . وقد اورد المرحوم العلامة الاب لويس شيخو اليسوعي بحثاً مستفيضاً عن النصرانية في العراق في كتابه « آداب النصرانية » نجتزئ منه ما يلائم مقدمتنا هذه قبل التفصيل والتعمق في رجال النصرانية الافذاذ الذين اقاموا المبادئ المسيحية على اسس ثابتة ودعائم راسخة قوية أدت الى محو الوثنية من أنحاء العراق وهو يومئذ تحت نفوذ امبراطورية فارسية مجوسية . جاء في تلك المقدمة ما نصه : « لما اشرفت شمس النصرانية سار دعائها الى ما بين النهرين والجزيرة والعراق فدعوا اليها اهل تلك الاقطار الذين لبوا دعوتهم وانضمت الجموع الغفيرة في سلك النصرانية . واذ كانت العرب ممتزجة مع سكان تلك الجهات اقبلوا هم ايضاً على التدين بها وجحدوا عبادة الاصنام والكواكب . ولنا على تنصر عرب العراق شواهد سبق بعضها عهد مالك بن فهم . فمن ذلك ما رواه كتبة الكلدان عن اول من بشر بالدين المسيحي في مواطنهم . وكان العلامة يوسف

السيمعاني في مكتبته الشرقية (ج ٤ ، ف ٥ ، ص ٣٠) جمع عدة شواهد من اقوالهم تصرح بانتشار النصرانية في العراق ونواحي اشور وبابل عن يد الرسولين توما وبرتلماوس . وبدعوة ثلاثة من المبشرين الاولين اعني « ادي » او « تدي » أحد السبعين وتلميذيه « آجي » و « ماري » . لكن كثيراً من علماء التاريخ لم يسلموا له بصحتها اذ رأوها حديثة العهد من القرن العاشر فما بعد . لكن الاكتشافات الحديثة في السريانية لم تبق ريباً في الامر اذ تبنت ان ادي ، الذي يعتبره الكلدان كرسولهم ، كان حقاً من تلامذة السيد المسيح ، وان بشارته في جهات العراق لا يجوز نكرانها ، فان اقدم التواريخ الكلدانية من القرن الخامس الى التاسع التي نشرت مؤخراً كتاريخ « برحد بشابا عربايا » وتاريخ « مشيجازخا » وشعر « نرساي » في القرن الخامس ، وشهادة آباء مجمع المدائن المنعقد في بلاط الملك كسرى سنة ٦١٢ م ، واعمال الشهداء ، والكتب الطقسية القديمة كلها تشير الى شهادة الرسول « ادي » ^(١) ، كما ان بعضها يروي اعمال القديس « ماري » تلميذ « ادي » ^(٢) . وفي الشواهد عن هؤلاء المبشرين الاولين الكلدان ربما ذكروا تبشيرهم لنواحي العرب . قال صاحب كتاب « النحلة » من كتبة القرن السابع : « وكان الداعي والمنصر (كذا) والمتملذ والمدبر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وما والاها من بلاد التيين

(١) كتاب Sources Syriaques للفلس منجنا S. Mingana ، وكتاب المثلث الرحمت البطريرك عبد يشوع خياط بطريرك بابل على الكلدان في القرن الماضي المعنون به (الكلدان والنساطرة والثلاثة البطرسية) .

(Eb. Khayyath: Syri Orientale seu Chaldaei) .

(٢) نشر ترجمته لاول مرة في الاصل السرياني ابلوس J. B. Abbeloos

(Acta. S. Maris) .

والخرزة ونواحي العرب من التلاميذ السبعين ادبي وماري ولحق بهما من التلاميذ الاثني عشر نائيل وهو ابن تلامي « - اي برتلماوس - لان افضلة » بر « الارمية معناها « ابن » . وقد قال ماري بن سليمان عن هذا الرسول في (ص ٥) من كتابه « فطاركة المشرق » : ان برتلماوس تلمذ، مع ادبي وماري ، نصيين والجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وبلاد العرب وارض المشرق والنبط .

وقد سبقهما القديس افرام الكبير في القرن الرابع وذكر بشارة ادبي الى الرها والمشرق في الميمر^(٣) الذي مدح فيه مدينة الرها .

اما ماري فان ذكره لا يكاد يفترق عن ذكر ادبي في الشواهد السابق ذكرها كالكتب الطقسية النسطورية واعمال الجامع وترجمته الموما اليها وكالها تشير الى دعوته بين العرب في بلاد ميشان^(٤) وسواد العراق وسكان الحيام . قال ماري بن سليمان في تاريخ « فطاركة المشرق » : « ان ماري بادر الى تلماذ - اي تنصير - جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز . . . وبلاد العرب سكان الحيم ونجران وجزائر بحر اليمن » . وقد روى الطيب الذكر السيد عبد يشوع خياط في مقدمة اعمال مار

(٣) الميمر لفظه ارمية معناها معلقة او قصيدة من الشعر نجدها معربة في اكثر الكتب التي تبحث في تاريخ الكنيسة ورجالها .

(٤) ميشان : كان يطلق على القسم الجنوبي من العراق في البقعة المحصورة بين واسط والبصرة . ومنها فرات ميشان (پراث ميشان) وهي في البقعة المحصورة بين ما كان يسمى بيت اراماني وبيت دارابي (راجع الخارطة المثبتة في آخر الجزء الثاني من تاريخ كلدو وآثور للمرحوم (ادبي شير) مطران سعرد سابقاً . وراجع معجم البلدان لياقوت الحموي مادة بادريا ، ج ٢ ، ص ٢٨ و ٢٩ . ومادة ميشان ، ج ٨ ، ص ٢٢٤ و ٢٢٥ من طبعة مصر) .

ماري^(٥) ان ذخائره وجدت سنة ١٨٧٩ م مع ذخائر يشوع بن سيران احد شهداء القرن السادس بين آثار كنيسة قديمة موقعها في كرملاش^(٦) شرقي الموصل . فهذه الشواهد من شأنها ان تزيل النشك في تاريخية ماري التي ارتاب فيها البعض^(٧) وقال في مكان آخر ما نصه : ان اليا النصيبيني ذكر اساقفة على البصرة وكان اسمها « فرات ميشان » منذ سنة ٣١٠ م وقد شهد المؤرخون ان سياحاً من النصارى كانوا يعيشون بين احياء عرب العراق منذ اواخر القرن الثالث واولئ الرابع ذكرهم المؤرخ «سوزمان»^(٨) ودعاهم بالرةاة لانهم كانوا يعيشون في البراري ويقتاتون من النبات . وروى ذلك المؤرخ انهم بجياتهم النسكية وفضائلهم العجبية ردوا كثيرين من العرب والعجم الى الدين النصراني . ثم تبع هؤلاء السياح رهبان الصعيد واخذوا عنهم طرائقهم النسكية . فكثيرون منهم اشتهروا في جهات العراق وفي البلاد التي كان يسكنها العرب . ومن خصهم بالذكر قدماء الكتبة ، الراهب حنا الكشكري^(٩) الذي سكن في بلاد جرم

(٥) وردت ترجمته في كتاب (Acta. S. Maris ص ٧ و ٨) .

(٦) وتعرف اليوم بقرية (كرمليس) وهي قرية مسيحية مشهورة بمدايق الكروم تقع بالقرب من قرية (برطلة) وهي تبعد عن الموصل اكثر من اثني عشر ميلاً ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان قال ، ما نصه بالحرف : « كرمليس : كانها مركبة من كرم وليس . قرية من قرى الموصل شبيهة بالمدينة من اعمال نينوى في شرقي دجلة كثيرة الغلة والاهل وبها سوق عامر وتجار » ٥١ . ج ٧ ، ص ٢٤٥ من الطبعة المذكورة آنفاً .

(٧) النصرانية وآداجها للمرحوم الاب لويس شينخو اليسوعي ، ج ١ ، ص ٧٤ و ٧٥ .

(8) Sozomène: H. E. I. 34.

(٩) المكتبة الشرقية للسعدي ، ج ٤ ، ص ٦٩١ - ٧٠٤ .

وابتني ديراً هناك ، نحو سنة ٣٢٥ م .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع تولى احد الزهبان النصارى اسمه «عبدا» بناء الاديرة في انحاء العرب فقدم على جاثليق المدائن المسمى «تموز» او «تومرصا» ونال منه الرخصة في ذلك فبنى هو ديراً كبيراً في ديرقنى^(١٠) او درقان ووطنه على اسم مار ماري حيث كانت ذخائر ذلك الرسول .
وبني تلامذته اديرة أخرى منهم تلميذه عبد يشوع الذي شيّد على نهر صرصر^(١١) الدير المعروف بالصليب حيث كان ظهر صليب منير في ايام استشهاد المسيحيين على يد سابور باغراء المجوس . وشيّد ديراً آخر في باكساي^(١٢) في سواد العراق ثم ديراً ثالثاً عند الفرات . واخبر المؤرخ ابن

(١٠) راجع مادة ديرقنى (ج ٤ ، ص ١٦٤ و ١٦٥) من معجم البلدان لياقوت الحموي ، طبعة مصر . وراجع كذلك (ديرقنى) « موطن اوزراء والكتاب ومقل النصرانية في العراق » للاستاذ ميخائيل عواد : « اشراق » ، ٢٧ ، بيروت ١٩٣٩ ، ص ١٨٠ - ١٩٨ .

(١١) يقال ياقوت الحموي في مادة صرصر ما نصه : « وصرصر في طريق الحج من بغداد قد كانت تسمى قديماً قصر الدير أو صرصر الدير . . . وقد خرج منها جماعة من التجار الاعيان وارباب الاموال . . . منهم النقي ابو اسحق ابراهيم بن عسكر بن محمد بن ثابت صديقنا فيه عصبية ومروءة تامة وقد مدحه الشمره فقال فيه الكهال الاسم الواسطي وانشد لنفسه فيه :

« اقول لمرتاد تقسم لحمه على البيد ما بين السرى والتبحر
تبحم بها ارض العراق فانها مراد الحيا والحصب واتزل بصرصر
تجد مستقراً للعفاة وقره لعينك فاحكم في الندى وتخير . . . الخ »
ونحن نعلم ان طريق الحج قديماً عن طريق القوافل من بغداد يسير جنوباً باتجاه عن طريق النجف الذي كان قد اعيد فتحه قبل سنوات .

(١٢) بلدة قرب البنديجيين وبادرايا بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي في

ماري (ص ٢٩ وهو ماري بن سيان) انه تلمذ العرب في مئوثة (١٢) وميشان واليامة ورد بني ثعلبة الى الايمان (١٤) فبعده تومر صا اسقفا مقامه في دير محراق . قال ياقوت : « دير المحراق من اعمال خوزستان . وخوزستان هذه مقاطعة تقع في الجنوب الغربي من بلاد ايران وهي متاخمة لجنوب العراق الشرقي . ومنهم تلميذة يبالاتها الذي رد اقواماً من العرب في ارياف الفرات وابتنى ديراً في دسكرة السود . واندسكرة في اللغة الارض المستوية . وابله يعني هنا اسم قرية بهذا الاسم مقابل مدينة جبل تلائم هذا المكان وهو على قول ياقوت الحموي في معجم البلدان (مادة دسكرة) : « ويرد آخر على ضفة النهر قيل ان عدد رهبان ديره قد كثر حتى ضاق بهم الدير مع ستمته فبلغوا الاربعمائة بنين . وكان الرهبان من ابناء شتى يتكلمون لغات مختلفة ، فبعلمهم اربعمائة وعشرين فرقة ، يتعاقبون في تلاوة الفرض الالهي ، ليلاً

اقصى النهران . قالوا لما عمّر قباز بلاده نقل الناس ، وكان من نقله الى بادرايا وباكسايا الحاكم والمجاهدين . والبا ينسب ابو محمد عيسا بن عبدالله بن ابي عيسى الباكساني ويعرف بالترقي احد ائمة الحديث . توفي سنة ٣٦٨ هـ . (معجم البلدان لياقوت الحموي ، ج ٢ ، ص ٦٥ ، ط مصر) .

(١٣) مئوثة : قال ياقوت في معجمه في مادة مئوثة ما نصه بالحرف : « مئوثة قلعة حصينة بين الاهواز وواسط قد نسب اليها جماعة من اهل العلم والحديث . . . » قال ابو الفرج الاصبهاني : « مئوثة مدينة بين سوق الاهواز وبين قرقوب اجترت بها سنة ٣٢٧ هـ . ونسب المحدثون اليها جماعة : منهم محمد بن عبدالله بن زياد بن عباد القطان المئوثة والدا ابي سهل . حدث عن ابراهيم بن الحجاج وعبدالله بن الجارود (السامي وغيرهما . روى عنه ابنه ابو سهل . . . وحليم بن يحيى المئوثة . حدث عن الحسن بن علي ابن راشد الراسطي . روى عنه الطبراني وابو القاسم البقوي ويحيى بن محمد بن صاعد . حدث عنه ابو القاسم التنوخي وعبدالله بن محمد (الصريفيني في آخرين) .

(١٤) المكتبة الشرقية للسهماني ، ج ٣ ، ص ١٩٨ و ٢١٨ و ٣٠٢ .

ونهاراً. فيتاون الصلوات والتسابيح في لغاتهم اي السريانية واليونانية واللاتينية والقبطية . وكان سبقه الى ذلك في هذه المناسك راهب آخر اسمه اسكندر الذي انشأ طائفة الساهرين (Acémètes) لمواصلتهم الصلاة ليلاً مع نهار . وقد ذكر ماري بن سليمان في تاريخ فطاركة كرسي المشرق (ص ٢١) وعمرو بن متى في المجلد (ص ٢٨) كثيراً من هذه الاديرة واختصرا توارينها عن كتبة معاصرين، اخصهم « احي » تلميذ مار عبدا الذي وضع ترجمة حياة معلمه ثم صار بعد ذلك بطريركاً على الكلدان .

فهذا العدد الوافر من الاديار وكثرة المتهبين فيها دليل واضح على سطوع ضياء النصرانية بين عرب العراق في ختام القرن الرابع للمسيح . فان كل دير منها كان ينبوعاً من المياه الحية يسقي تلك الانحاء فينبت للخلاص الثار الطيبة وكان المتنصرون يارسون من الفضائل اسمها ومن الاعمال المبرورة افضلها واولاها حتى انهم ما كانوا يجزمون عن الموت والعذابات لاجل دينهم .



مقام العزراء مريم

في الطقس البيزنطي الشرقي

الدرسمندربت مبسلس عساف

س ث	طوبى لنا نحن اذ انت لنا متشفعة لامك الليل والنهار تشفعين لاجلنا .	الشفاعة :
س ٦	فكثيرة هي وسائلك وقوية وعند السيد مقبولة . ايها الام الطاهرة لا تحبي الخطاة من شفاعتك	الشفاعة المتبولة :
بر	ليس احد يسارع مبادراً اليك ومعطي خازياً من قبلك ايها البتول القية ام الاله . . .	الشفاعة الاكيدة :
س ن	بالدالة الوالدية التي لك نحو ابنتك ربنا وسيدنا ابتهلي اليه .	الدالة الوالدية :
اكس	ايتهه الازراء . اني اصادفك لي وسيطة عند الاله المحب البشر .	الوساطة :
س	لانك انت خلاص لجميع المسيحيين .	الخلاص :
اكس	فامددي يدك المقدسة واحقي اعداءنا وارسلني من القدس عوناً لمبيدك .	المعونة :
س ن	يا من هي معونة لذوي الحروب ونصرة مستعدة للمسارعين اليها .	المعونة في الحروب :
س	بتود الملوك بطلباتك تتأيد .	التأيد :
س ث	افرحي يا ناصرة المحزونين .	نصرة المحزونين :
اكس	بما انك سالوة المحزونين وشفيعه المسيحيين .	السالوة :
س ث	انك ملجأنا وقوتنا	القوة :

	ان جنس البشر بك وجد النجاة يا والدة الاله المبارك النقية .	النجاة :
أفخ		
اكا	افرحي يا حفظاً وثباتاً وملجأً للجميع . . .	الذبات :
اكا	يا علة الحبور وسبب السرور . . .	السرور :
اكس	نحن اذاً بك نفتخر يا والدة الاله . . .	موضوع الفخار :
س	لانتا بانكالنا عليك لا نخب . . .	موضوع الانكسال :
اكا	افرحي يا فخر المسيحين وشرفهم . . .	الشرف :
اكا	افرحي يا اصلاح آدم وتقويمه . . .	الاصلاح :
اكا	افرحي يا اغتفاراً حاراً جدّاً للمؤمنين . . .	الغفران :
	انت هي بذوق التخنن يا والدة الاله المبارك	الحنان :
س ٦	اهلينا للترثي والاشفاق . . .	
س ن	واحضري عندي دائماً ايتها الرحيمه الشفوقه	الشفقة :
اكا	السلام عليك يا من جها تأملنا . . .	التأليه :
اكس	صرفنا بك مشاركين الطبيعه الالهيه . . .	
اكا	افرحي يا ايمان المحتاحي الصحت . . .	ايمان المؤمنين :
	افرحي ايتها اليتول يا كرازة الانبياء التي جها	كرازة الانبياء :
س ث	اشرق عمانوئيل . . .	
اكا	السلام عليك يا جمال الرسل وشرفهم . . .	جمال الرسل :
اكا	افرحي يا جمال الصديقين الالهي . . .	جمال الصديقين :
اكا	افرحي يا فخر الابرار . . .	فخر الابرار :
اكا	افرحي يا اكليل المجاهدين . . .	اكليل المجاهدين :
س ل	انت يا والدة الاله رجاؤنا . . .	رجاء المسيحيين :
	يا والدة الاله انت رجاء وشفية وملجأً	ملجأً المسيحيين :
اكس	للمسيحيين . . .	
اكا	افرحي يا ارشاد المؤمنين الى العفة . . .	الارشاد الى العفة :
اكا	افرحي يا منيرة اذهان المؤمنين . . .	منيرة الاذهان :
	اليوم ولدت جسر الحياة التي جها فاز الانام	جسر الحياة :
	بالمسيح الواهب الحياة . . .	
من ٨ ايلول	ان الهرايا باسرهما تفرح بك يا ممتلئة زمجه . . .	موضوع الفرح :
أفخ		

من ١٤ آب	• • • • •	مجد وشرف الجميع :
كا	يا حياتنا وخلصنا .	حياتنا وخلصنا :
س ث	انت كثر قيامتنا نحن المتكلمين عليك .	قيامتنا :
	• — الانواء التي تدعونا الكنيسة الى تكريمها بها	
س ١	ام الاله نسبحها بلا فتور بالقم والقلب .	التسبيح :
من ١ ايلول	جميع الاجيال لك يعظمون .	التمظيم :
	يا ام الله البتول النقية نجذك نحن معاشر	التمجيد :
من ١ ايلول	البشر على عمر الازمان .	
من ٦ ايلول	• • • • •	المدبح :
	بموجب الواجب نمدحها هاتفين .	
افخ	بواجب الاستحقاق حقاً نغبط والدة الاله	التغيبط :
	الدائمة الطوبى .	
من ١ ايلول	• • • • •	الاكرام :
اكس	نكرمها على الدوام لانها قد تمجدت .	
كا	نحن اذاً بك نفتخر يا والدة الاله .	الافتخار :
	وتقدم لك الشكر كمنقذة من المساوى .	الشكر :
	الى والدة الاله العذراء هلم نسعى بجرص	الركوع :
بر	• • • • •	
س	واجتهاد نحن الخطاة المقبرين البائسين ونركع	
	لها بالتوبة ساجدين .	
س	• • • • •	
كا	فلذلك اجثو نخوك يا والدة الاله .	
	• • • • •	العبودية :
	نحن عبيدك يا والدة الاله .	
	ان السلطات والكرامى والرتاسات والارباب	الابتهاج والترقيم :
	والقوات والشاروبيم والسارافيم المرهوبين	
	يجدون رقادك . والارضيين يفرحون	
	مزينين بمجدك الالهى . والملوك يسجدون .	
	ومع رؤساء الملائكة والملائكة يرغفون	
من ١٥ آب	• • • • •	
	هاتفين افرحى ايها المنعم عليها .	
	تمالوا يا ذوي العقول الالهية قم عيد والدة	التصفيق :
من ١٥ آب	• • • • •	
	الاله مصنفين بالايدي مسبحين .	
	تمالوا ايها المؤمنون نتقدم نحو ضريح ام	التقبيل :

من ١٥ آب	والاله وتقبله بتزامة لاسمين اياه بالشفاه والقلوب والجباه	حمل المصاييح :
من ١٥ آب	كل الارضيين فليتهجوا بالروح حاملين المصاييح . . . لانتقال والدة الاله .	الرقص بالطبول :
من ١٥ آب	ايها البتول ان تذكارك النيس المقدس قد جمع كل المؤمنين الى السرور برقص وطبول كما تقدمت فعملت مريم في القديم (خروج ١٥ : ٢٠)	
من ١٥ آب	لكي تكوني لنا واسطة عند المولود منك يا سيده العالم .	الوساطة :
من ١٥ آب	اتضرع اليك طالباً ان تعينني عاجلاً . . .	المعونة :
من ١٥ آب	يا والدة الكلية النداسة لا تحمليني في سني حياتي يا شفيعة الانام .	المعونة الدائمة :
من ١٥ آب	احضري عندي دائماً ايها الريحمة الشفوقة الوادة الخير والصلاح .	المساعدة :
من ١٥ آب	المساعدة عند ساعة الموت : واما في وقت خروج نفسى الشقية فنذاركيني واحديني في وقتنا منظر الجن الخبيث اقصى عني بعيداً	المساعدة عند ساعة الموت :
من ١٥ آب	يا شفيعة المسيحين الخير الخازية ، لا تعرضي عن اصوات الخطاة .	الشفاعة :
من ١٥ آب	الشفاعة في الدينونة : واما في يوم الدينونة الرهيبه فنجيني من المقوبات الدهرية والعذابات المؤبدة واوضحيني وارثاً لشرف ومجد ابنك الذي افوز به بواسطتك ايها البتول سيدتي	الشفاعة في الدينونة :
من ١٥ آب	ايها المذراء لا تدعي افعالي توبخ امام الملائكة	الستره :
من ١٥ آب	خلصيني انا الجبان الحقير وتشفعي في خلاص نفوسنا .	الخلاص :

بر	الخلاص من الشدائد : خالصي عبيدك من كل الشدائد يا والدة الاله .
بر	الخلاص من الاحزان : فيا ايها السيدة خالصينا الان من الشدائد والاحزان .
اكس	الخلاص من الجحيم : اتقذيني يا عذراء من وهاد الجحيم وخلصيني .
اكس	الخلاص من النار : اعضدينا واعتقينا من النار الابدية . . .
اكا	التوطيد : يا والدة الاله وظدينا نحن المثدين تسايحك .
من ١ ايلول	الرحمة والندامة : اضرع اليك فادركيني برحمتك واتخصني الى التوبة .
من ١ ايلول	مغفرة الخطايا : يا مريم البريئة من الدنس اطلي بنير فتور الى الاله الذي ولدته ان يجب عبيدك مغفرة الاوزار والخطايا بشفاعاتك .
بر	النصرة في التجارب : ايها البتول اهدمي عنا صدمات التجارب وطوارق الآلام .
من ١ ايلول	رفع الشدة : ارفعي الشدة عن المسارعين اليك . . .
بر	الفرح : اوعبي يا تقيمة حياتنا سروراً يا مانحة الفرح الذي لها الخير الفاسد يا من ولدت علة السرور والابتهاج .
بر	الهدوء الداخلي : ايها العذراء تتوسل اليك ان تشنتي عنا الاضطراب النفساني وعاصف التطيب والعبوسة ، لانك ولدت عنصر الهدوء .
بر	انارة الاذهان : ايها العذراء اضيئي بشماع نورك على الذين هم في قتام الجهل .
بر	شفاء امراضنا : على سرير الامراض نحن منطرحون الان وايس لاجسادنا شفاء فنتوسل اليك يا سالحة ان تهضينا من فساد الآلام والاسقام .
بر	تقديم صلاتنا : ايها المجيدة المباركة والدة الاله قديمي صلاتنا الى ابنتك والها لكي يخلص من اجلك نفوسنا .
س ن	(يتبع)

الشيوعية

احداث نظرية استعمارية

للمدكتور زرار رضا

بعد ان تطوّر الانسان من انسان ظرأني الى انسان متحضّر ، وخلف
عيشة الكهوف وما فيها من انكفاء ووحدة الى عيش اجتماعي بسيط ،
اضطرّه الكساح في سبيل الحياة الى سلوك شتى الطرق التي ائتت فيه حب
اظهار القوة الناشئة معه عن حب السيطرة ، تلك النزعة الفطرية في البشر .
وكثيراً ما تشاهد طفلاً صغيراً يسمى لجمع اطفال صغار حوله وينصب نفسه
عليهم مدبراً ؛ ومن مجموع الافراد تتألف الامم ، وما يتصف به الفرد يصبح
حقه للجماعة وفيما بعد للامم . لذلك سمعت الكتل البشرية الى السطو على
غيرها كسباً اغمراً واسلاب ، ثم تطوّر هذا الى استئثار واناية ، وتحت ضغط
نظام الدفاع عن الحياة انقلب من الكسب الغني الى بسط السيطرة
والنفوذ مكان الاسترقاق والاستعباد .

فالاستعمار في اول نشأته ، كان يهدف لكسب الايدي العاملة المحاربة ،
ثم اخذ بالتطور حسب اتساع افق الانسان وحاجاته حتى يومنا هذا ، يؤثر عليه
وعى البشر ونفورهم من اساليب عرفوها وعرفوا الغاية منها ، فتلبّس
الاستعمار اسماء اخرى اخفّ على السمع الواعي وأفتن .

كانت الغاية من الاستعمار ، في العهدين اليوناني والروماني الاول ، حب السيطرة والفتح ، كما كانت غاية الفروسية الاولى في القرون الوسطى في اوربا ، هذا من حيث الطابع الاولي ، ثم الاستفادة من الرجال المحاربين وتسييرهم إما لحرب غيرهم ، او لردّ فارات الأمم الاخرى الطامعة ؛ اي انه كان استعماراً للنفس ، اذ لم يكن ارومان يعلمون بحُصْب اراضي الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، ولم يكن معروفاً ان سهول حوران ستكون اهرآء روما .

وبعد ان اخذ الانسان باسباب التخصر والاستقرار اصبحت شواغل نفسه الحياتية وطالب رفه الحياة تلجأه الى السعي لتوفير نعيمه . فنبشقت النظرية الاقتصادية واصبح استعماراً للأيدي العاملة والمحاربة ولما نتجته الارض من خيرات .

غير ان الشعوب القوية رأت نفور الانسان من كلمة « مستعمر » رغم ان الرومان اعطوه ميزات لا تفرقه عن غيره من مواطني الدولة ، اذ منحوه لقب مواطن روماني . وقد قوي الوعي الاجتماعي والقومي والفكري ، واشتد الصراع بين العناصر القوية لبقاء الاصلح والاقوى فظهر الاستعمار العربي بشكله الجديد الروحي والمادي معاً . وكما ان كل فكرة عرضة للتغيير والتبديل ، اعتدى الاستعمار العربي تجوير كبير في الجوهر ، وطغت عليه النظرية الاقتصادية وعليها تبنى الاستعمار العربي ، - وعلى رسالة الصحابة لابن القفغ نسج الاستعمار الانكليزي - حتى كانت الحرب العالمية الاولى نتيجة ذلك الصراع في سبيل المجال الحيوي وايجاد اسواق تجارية لبيع المنتوجات ، فتحوّل الى استعمار اقتصادي محض ، لا يهتم المستعمر في البلاد الخاضعة لنفوذه سوى التمتع بما فيها من خيرات ،

واحتكار اسواقها لتصريف منتوجاته الخاصة .

بدأت الشعوب الضعيفة تشعر بواجب تملصها من نير الامم القوية وكان هذه قد شعرت ايضاً بموجة الوعي تسري في عروق الشعوب الضعيفة فألقت كلمة استعمار وابدلتها بكلمات جديدة فيها بعض الامل : مثل انتداب ، وصاية ، حماية ، كلمات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب . واخترعت جامعة الامم المؤلفة من الامم الكبيرة وسنت لها القوانين واجبرت الامم الضعيفة على الخضوع .

في هذا الوقت كانت بعض الفكر الاجتماعية التي تولدت من بقايا عصور مختلفة ونظريات شتى ، قد نشطت وسنت لها برنامجاً خاصاً في اواخر القرن التاسع عشر . هذه هي نظرية كارل ماكس الاجتماعية التي اخذ على عاتقه رجلٌ صلب العقيدة ، قوي الإرادة ، أمرَ تطبيقها في بلاده ، اذ رأى فيها دعاية خلافة ومجالاً واسعاً للوصول الى مبتغاه في شعب اضناه الرق والاستعباد ، واوهى عضده البؤس والحرمان ، وقتك به الجهل والمرض ، وعصف به الحكم الاوتوقراطي المفرد . وهذه هي التربة الصالحة لنمو بذر الفكر الثورية الاجتماعية ، فاستغلَّ «لينين» عسف السياسة القيصرية في روسيا ، معللاً الشعب بالألماني العذاب . فكان له ما اراد من ثورة طوّحت بالعرش القيصري ، وإقامة حكومة عمالية ساعد على نجاحها الخذال الجيوش الروسية المتوصل امام الجيوش الالمانية ، وتجاهل سكان الكرملين الخطر المهدق . فظهر لينين بذلك كمنقذ مرسل أرادته القوة الخائفة ، فنفذت تعاليمه بالشعب إكراهاً وتعنّتاً بالقوة والدم حتى اصبحت دستوراً غير قابل للتحويل ، تتمشى عليه الدولة . وحلّت الفكرة الشيوعية محلّ الفكرة الدينية ، ولم تصح فكرة اجتماعية فقط ، بل عقيدة شبه دينية . وبعد

ان استقام لها الامر خرجت عن نطاقها الضيق الى العالم الرحب للسيطرة عليه تحت اسم العدالة الانسانية فكان بدء الاستعمار الروحي .
 لا عنصرية ، لا استعباد ، لا رق ، حق الحياة الانساني ، هذه هي اهم الفكر للدعاية الشيوعية . فكرٌ خلاصة نظرياً وتطبيقياً لو كانت تطبق ! ولكن بعد ان ظهر ما استتر لم يعد خافياً على كل ذي بصيرة مقاصد الشيوعية مع المائة الثالثة (الكومنترن) . نعم ان الشيوعية تظهر لاول وهلة بصفة المدافع عن حريات الامم الصغيرة وعن حقوق الخادم والعامل من ان يهضمها الرأسمالي المستثمر فتعزُّ بذلك ذري عقول بسيطة واشخاص تتوق نفوسهم الى التمتع بما يرونه ، ولا قدرة لهم على الوصول اليه . وهؤلاء يرون عن غي ان الشيوعية تهيب لهم ما يبتغون من رفق ونعيم في اقل جهد ممكن ودون عناء . فكر متسلحة بنظرية الدفاع عن الاكثرية ضد الاقلية المستثمرة . وهي نوع من دكتاتورية الحزب الواحد وان كانت تدعي انها حكومة البروليتاريا .



ان الشيوعية هي احدث نظرية استعمارية اوجدها فكر القرن العشرين . وهي خطيرة جداً لانها لا تستعمر الشعوب والارض فقط بل تستعمر العقول والافهام ، ويصبح كل شيوعي آلة مسخرة في يد القرامين دون فكر او حرية . فهي اداة حظر على الحرية الفردية الحق على استعمالها . وهي استعمارية لانه ليس لأحد حق في اظهار رأيه ان كان مخالفاً للعقيدة الشيوعية . فالمحظورات بهذا النظام هي : لاحق لك في القول ، في الكتابة ، في الاجتماع ، في العمل ، في الراحة والمسير والذهاب . فجميع القرى اذن مسخرة في سبيل الفكرة . هذا من حيث استعمار

العقول والفكر . اما في استثمار الشعوب فلا أرى لزماً أن اطيل ، ولنا في الدول الاوربية التي دخلت خلف « الستار الحديدي الشرقي » خير مثال ، بواسطة تدخّل الاتحاد السوفياتي لاعطاء الحكم لغير قليل يتحكّم بالاكثية . وان انشاء « الكومنفورم » دليل قاطع للحريات التي يتمتع بها افراد الشعب وحكوماتها في ظل انظمتها العسكرية التي ارجعتها حكوماته الشيوعية .



واخيراً اقول ان الشيوعية هي نظرية استعمارية هدامة لانها قائمة على التخريب والثورات ، لا على البناء والانشاء ، تحذّر من الطموح الفردي ومن صراع القوى الفكرية التي توصل لهنا البشرية ورفه الحياة .



❁ غاية الحياة ❁

لا شك انها السعادة وقد بين صاحب كتاب « شذرات الذهب » طريق الوصول الى السعادة قال :

« ان الذين يظنون انهم يصلون الى السعادة دون ان يرؤوا في طريق الواجب فانهم مخدوعون . لكن الذين يقصدون الواجب قبل كل شي . ، فهؤلاء هم الذين يجدون السعادة . . . فالسعادة اذن تقوم بحفظ الواجب » .

ما هي الزفانا

للإستاذ بولس سلامة

يتبادر الى ذهن الناس ان الزفانا في نظر الهنود هي مقر النعيم الابدي يغتبط فيه الابرار ثواباً على ما قدموه في الحياة الدنيا من الصالحات . ويظن فريق آخر انها مكان يتلاشى فيه الالم بعد الموت . ويؤمن غيرهم انها عدم محض . وبمثل هذه السهولة تراهم يشرحون مسألة الزفانا ، والحال ان الجواب عليها لأصعب مما يتصورون . وقد ضلّ في تفهم الزفانا المؤلفون الاوربيون والهنود البوذيون على السواء .

اما الاوربيون فقد تصدى كثير منهم لدرسها وتبارى في ذلك الباحثون الالمان ، والانكليز ، والفرنسيون ، وبدلوا الجهد في ايضاح بعض النقاط الغامضة ولكن اكثرهم اخفقوا في البحث . وسبب هذا الفشل هو انهم بحثوا المشكلة على ضوء الفلسفة الغربية ، وقاسوا بالمقاييس الفرنجية ، فكانت نقطة الارتكاز خاطئة ، لذلك جاءت النتائج متناقضة . فاستنتج بعضهم انها الخلود والنعيم الدائم ، وزعمت الكاتبة « ريس داثس » Reis (Davis) ان الخلود المعني هنا هو الرحيق العنبري الذي يغتذي به الاطهار ، وان الزفانا هي الخلاص ومنتهى الحكمة البالغة التي يدركها الانسان بعد اعتاقه من الميول والشهوات ، وارتشافه كوثر الحقيقة الذي يطفى ظمأه . وزعم « كرن » Kern ان البوذيين عندما يقولون ان « بوذا » المنتصر غاب الموت واكتشف باب الخلود يعنون بذلك انه انتصر على التخوف من الموت

ورهبته واكتشف طريق الخلود الذي يقوم بحسب رأي « رنان » Renan بالتغذي من الحقائق السرمدية التي تخضع الموت لشوكتها فلا يعود شيئاً مروعاً بل يصبح حلماً حياً . وزعم غيرهم ان بوذا قصد بهذه اللفظة القداسة الخاصة . وقال سواهم انه احتفظ بتفسير هذه الكلمة وحرّم على المؤمنين الحوض في تحليها ، ولكن اكثر المؤلفين الاوربيين الذين تصدوا لهذه الابحاث اجمعوا على ان الطبقة العامة في البوذيين تحسب الزفانا نعيماً مقيماً . ونظراً لهذا التناقض الكثير فاننا سننسط بعض اجوبة المؤسس العظيم نفسه بما يتعلق بالزفانا وما يتصل بها .

سئل بوذا عن شريعته فأجاب : هي الابتعاد عن الشر وتطهير الفكر . وسئل عما اذا كان يرى رأي سواه في ان اعمالنا الشريرة في حياة سالفة تجر علينا ما نلاقيه من العذاب والالم في حياتنا الحاضرة فأجاب : اعمالوا الصالحات وتجنبوا السيئات . وسئل عما اذا كان الانسان يتلاشى بالموت فأجاب : انني ابشر بتلاشي الميول .

ولقد بدأنا منذ الآن نلمس كثرة تحفظ بوذا في الاجوبة كما انه رفض الاجابة عما يعتقد به بأولية الكون ، وعما اذا كان العنصر الحيوي في الجسم ، وهو النفس ، يختلف او لا يختلف عن الجسم ، وعما اذا كان القديس يحيا بعد الموت او يتلاشى تماماً .

وقد جاءه ذات يوم احد تلاميذه واظهر شدة استغرابه لسكوت المعلم عن هذه الاجوبة ، فقال له بوذا : هل قلت لك اتبعني وكن لي تلميذاً فأعلمك ما اذا كان العالم خالداً ام غير خالد او يحيا القديس او يتلاشى بعد الموت . فأجابه التلميذ : كلا . عندئذ ضرب له بوذا المثل الآتي فقال : رجل اصيب بسهم مسموم فاستدعى اهله طبيعياً لمعالجته . فما رأيك في

هذا الجريح لو قال لطبيبه لا ادعك تمسني قبل ان اعرف من رماني وما اسمه واشكاله وهل هو شريف او برهمي . افما كان يموت هذا الرجل من جراحته في هذه الفترة . وانا لم اعلم تلاميذي شيئاً من خلود العالم او بقاء القديس بعد الموت لان معرفة هذه الامور لا تنفعهم في طريق البراة والوصول الى النرقانا . اما انت فتعلم الحقائق الاربعة المهمة وهي وجود الالم ومصدره وملاشاته والطريق المفضي الى انعدامه .

وسئل عن النرقانا اهي عدم أم سعادة ابدية فلم يُدلِ بجواب ، وهذا هو سبب التخصب في المشكلة . وقد سأله احد تلاميذه قائلاً : لقد حان لي ان ادخل في النرقانا فأجابه بوذا: شأنك وما تريد فكما ان الزيت والسمن يحترقان بدون ان يتركا رماداً فكذلك انت ستصعد في الاجواء ثم تدخل النرقانا، وكما انك لا ترى اين تذهب النار التي تتلاشى رويداً فكذلك يتعذر القول الى اين يذهب الطوباي الذي بلغ السعادة الابدية . وقد شرح احد علماء الهند هذا الكلام فقال : ان النار عندما تنطفئ لا تتلاشى بل تصبح شيئاً آخر يتعذر على البصر ادراكه ، وكذلك القديس عندما يبلغ النرقانا فلا يبقى انساناً او احساساً او فكرة . وانما الخلاص والنبطة الابدية هو ان يتجاوز الانسان كل ما يستطيع الخيال تصويره من الصيغ والاشكال . وقد سأل احد تلاميذ بوذا رقيقاً له كيف تكون النرقانا مقام غبطة مع انها مقام انقطاع الحس فأجابه الآخر: ان انقطاع الحس يجعلها غبطة لان الحس هو مصدر الشهوة ، والشهوة مصدر الالم ، فحيث لا حس ولا شهوة فهناك الغبطة .

النرقانا على الارض

تعتقد البوذية ان النرقانا اي الغبطة تبدأ على الارض فتكون مقدمة

للعبطة فيما بعد الموت لان بوذا وعد بها رفاقه الخُص فقال لهم : انني ادركت الخلود فاذا اتبعت تعاليمي فانكم منذ الآن تدركون الخلود الذي هو غاية الطهارة والحياة الدينية التي من اجلها يبجر الانسان اهله وذويه . وانكم تحسون هذه العبطة في داخلكم وذلك ما كان يعنيه البراهمة في قولهم : ان النفس تتحد مع الاله برهما فيكون في داخلها وذلك بعد الانخفاف الصوفي . والتخفف من ادران الرذائل ، وتنقية الضمير . ويزعم البوذيون ان الفئة التي لا تستشعر هذه العبطة الداخلية هي فئة كثفت عقولها وعَظَّت بسبب الميول لانها لا تشاهد الا ما يقع تحت الحواس كالالوان وما يتصل بها ، اما النزفانا فهي من نوع آخر ولا يستطيع ادراكها الا الخاشع المتصوف فاذا خرج من تصوفه وانخفافه صاح : ايتها النزفانا ، ايتها الطمأنينة والتلاشي والسكون الحبيب !

واذا كان العميان لا يبصرون الازرق والاصفر فلا يحق لهم ان يقولوا للبصرين ان الالوان معدومة .

واذا انت تأملت الصوفية الحديثة لا تجد فرقا كبيرا بينها وبين هذه الصوفية الهندية لانها ترمي الى التفرس بالفضيلة والانخفاف والاتحاد بالله ، والهندية تركز على المبادئ نفسها توصلنا الى النزفانا . ولكن بوذا صرح انه هو وحده يستطيع الاتحاد بالنزفانا كاملة لما له من الافضية والميزة العليا ، اما من سواه من القديسين فانهم يشهدون على هذه الارض الطريق الموصلة الى النزفانا . وقد ذكرني هذا الزعم بيت اشوقي من قصيدته في دمشق حيث يقول :

حسبت لبنان دارات الخلود وما نُزِنَتْ ان طريق الخلد لبناً
يظهر بما تقدم ان بوذا كان يتهرب من بعض الاجوبة الصعبة كسرمدية

العالم وتحديد النفس وما شاكل ذلك؛ لان من اجاب على واحد منها كان كمن يفرز قدمه في الوحل ، كلما حاول النهوض زاد غرقاً . وان الرجل كان يعني بالاشياء العملية الاخلاقية مبتعداً قدر الامكان عن بحث ما وراء الطبيعة . ويرى اللاهوتيون انه كان يخاطب الناس على قدر افهامهم فيوضح حيث يجب الايضاح ويترك المجال للتفسير والتأويل في مواطن اخرى . فهو لا يريد نفي وجود جهنم مثلاً لئلا تنفلت العامة من قيودها ويريد ان يتجرد الحكماء من الانانية . وعنده لكل مقام مقال .

ومجل القول وخلاصته ان بوذا رأى الحياة كلها ألماً وان ما نحسبه لذة وسروراً هو انقطاع الالم مؤقتاً لان العذاب هو القاعدة ، اما اللذة فشذوذ وعذاب ملطف ، كما لو كان الانسان ظامئاً متحرقاً في البيداء فأنعشته بشربة ولو كان الماء فاتراً ، وكما يجد المتعب بجمل يبهبه كتفه الايمن بلذة ينقله الى كتفه الايسر . وقد علم بوجود التجرد من الاثرة اذ نفع الحخير من اجل الحخير لا طمعاً في الزرقانا لان الطمع فيها . يبعث على حب الذات . وانت ترى في هذا المقال الموجز مبلغ اهمية الرجل في تطور البشرية وتأثيره في عالم الفكر .

اصلاح غلط

ورد في الجزء الخامس (ايار) ، صفحة ٢٦٦ ، ابيات في وصف قوس قزح ،

نسبت المهنبي ، والصحيح انها لابن الرومي فاقتضي التصحيح .

خناق الصدر

والخوف منه

للدكتور جورج المنير

لقد قيل : تعددت الاسباب والموت واحد .

اجل ان اسباب الموت مهما تنوعت واختلفت فالموت واحد لا يتغير ولا يختلف . هذا نسبة للتوفى ، اما اذا نظرنا الى الاثر الذي يتركه الموت في نفوس الاحياء فنراه مختلفاً جداً بالنسبة لنوع الميتة وأسبابها . وبما لاشك فيه أن الموت الفجائي يثير الذعر والخوف عند الاحياء اكثر من الموت الذي يعقب المرض المزمن . كذلك فان اسف الاحياء وخرنهم على الاموات يزدادان كلما قصرت مدة المرض ، بخلاف ما لو كان المتوفى طريح الفراش منذ امد بعيد او كان مصاباً بمرض عضال لا يؤمل شفاؤه، فالخزن عليه يخف او يتلاشى تماماً .

*

وان من اسباب الموت الفجائي المرعب الخيف ما يسمونه بالسكته . وهي على انواع : فتكون اما سكته قلبية ، او سكته دماغية او رئوية او ايضاً سكته حنجرية . لكننا نحصر كلامنا الآن عن ظاهرة من ظواهر السكته القلبية ، عن المرض المسمى بخناق الصدر وما تتركه هذه السكته القلبية الفجائية من خوف ووسواس لاسيا في نفوس العصبيين من الاحياء . لقد وصف العالم الانكليزي « هيردن » Heberden لأول مرة اي منذ

عام ١٧٦٨ ، آلة خناق الصدر قائلاً : « انه مرض ترافقه آلام شديدة في الناحية الصدرية وضيق شديد ونوع من الاختناق » مما اوجب تسمية هذا المرض بخناق الصدر ولم يستطع الطب الحديث ان يزيد على وصف هيردن لهذا المرض سوى بعض الايضاحات السطحية مع ما صرف الاطباء من الجهود الجبارة لكشف النقاب عن اسرار هذا المرض . وها قد مر ما يقرب من قرنين على اكتشاف هيردن العالم الانكليزي لهذا المرض ولم يتوصلوا الى نتيجة اوضح . والذي يلفت النظر في هذا المرض الوخيم هو التباين العظيم بين حالة المريض اثناء النوبة وشدة الآلام الصدرية التي يشعر بها اذ ذاك ، وبين حالته بعد النوبة ، اذا قُدِّر له ان ينجو منها ، فهو يتمتع في الظاهر بصحة حسنة وسلامة لا بأس بها .

وقد تضاربت الآراء حول اسباب هذا المرض فن العلماء من يعتقد ان هذا المرض ناشئ عن آفة في ضفيرة القلب العصبية . وقد توصل العلماء الانكليز والعلماء الفرنسيون ، بعد ما قاموا به من الاختبارات في العشرين عاماً الاخيرة . الى هذه النتيجة : ان خناق الصدر ناجم عن قلة تغذية العضلة القلبية بسبب قصور الشرايين الاكليلية التي تحمل الدم المغذي اكل نواحي القلب .

يتركب القلب من نسيج عضلي ومن نسيج ليفي . وهو يحتاج ، كما تحتاج جميع انسجة الجسم ، الى غذاء من الدم الذي يحمل اليها مولد المحوطة اي الاوكسيجين وغيره من المواد المغذية كالسكر والحماز ونحوها . وللقاب شريتان يدعيان الشريانين الاكليليين ، احدهما امامي والآخر خلفي . ينشعب الاول في الوجه الامامي من العضلة القلبية ، واما الثاني فينشعب في وجهها الخلفي . وهما يُغذيان بواسطة هذه الشعب الدقيقة او الانابيب

الشعرية كل ألياف القلب العضلية والغشائية فاذا ما حدث على مسير هذين الشريانين او في داخلها التهاب او تحنثر دموي ، او اذا ما تصلب جدرانها من ترسب المواد الكلسية او مادة « الكولاسترين » (cholestérine) (شمع المرارة) يُصل اما ضيق هذين الشريانين او احدهما ضيقاً فجائياً او انسداداً بالكافية فيتمتع وصول الدم المغذي الى نسيج القلب . ويحصل في الحالة الاولى نوبة خناق الصدر الوخيمة وفي الحالة الثانية علة احتشاء عضلة القلب المميتة .

فمثل القلب في هذه الحالة مثل محرك السيارة الذي تضطرب حركته عندما تسد الاوساخ الانابيب التي توصل المادة القابلة للاحتراق (اي البنزين) الى داخل المحرك ، فاما ان يكون الانسداد موقتاً او جزئياً ، فتضعف حركة المحرك فجأة ، او تدمدم ، ثم لا تلبث ان تعرد الى حالتها الطبيعية . وهذا ما ياتل في موضوعنا نوبة خناق الصدر . واما اذا كان سد هذه الانابيب كاملاً ودائماً فيقف المحرك عن حركته بصورة نهائية . وهذا ما يشابه حالة احتشاء عضلة القلب على اثر انسداد الشريان الاكيلي الرئيسي الامامي او الخلفي .

*

ماذا يشعر المصاب بنوبة خناق الصدر؟ وهل بالامكان تحري هذه العلة قبل حدوث النوبة؟ يشعر المصاب بنوبة خناق الصدر بالمشديد غير محتمل في اعلى القسم الخلفي من عظم القص ، وبضغط وبجس دهن مزعج جداً يشبهه المصاب عادة بقضيب من الحديد مشدود عرضاً حول الصدر او كأن ملازمة من الفولاذ تكمش اضلاع صدره؟ وينتشر الألم الى الكتف اليسرى والعضد اليسرى، حتى المرفق ومعهم اليد اليسرى، وطرفي الخنصر والبهنصر.

وقلما يمتد الألم الى الكتف او الى الطرف الايمن . ويشعر المريض ايضاً بضيق شديد فيتخذ وضاعاً خاصاً ، ويضغط بيده اليمنى على صدره ، او يسند بها ذراعه اليسرى المصابة بضغط شديد، ويشعر ان الموت يدنو منه فترتسم علامات الخوف والذعر على وجهه الذي يبله عرق بارد ، فيستنجد ويطلب الاسعاف ، ولكن قلما يسبق الطبيب الموت الذي يحصل بغشيان او بقصور القلب الحاد .

وقد لوحظ ان نوبة خناق الصدر تعترى الاشخاص المصابين بها على اثر التعب ، ولاسيما بعد الطعام ؛ او على اثر الجهد، لاسيما اثناء المشي في مكان معرض لريح شديدة . وقد يسيبها ايضاً الانفعال النفسي والبرد والاضطجاع المديد الذي من شأنه ان يمدد القلب . وقد تحدث النوب في ساعات النوم الاولى او اثناء الهضم . بيد ان نوبة خناق الصدر المألوفة هي التي تحدث على اثر الجهد او الطعام . ولنوب خناق الصدر اعراض تختلف كثيراً او قليلاً عن الاعراض المألوفة التي وصفناها . وكثيراً من هذه النوب لا ينتهي بالموت . فاذا كتب الله للمصاب بخناق الصدر ان ينجو من النوبة قد لا يجد الطبيب عند فحص هذا المريض علامات خاصة لخناق الصدر او دلائل مرضية تمتاز بها هذه العلة . وربما استطاع ان يكتشف بواسطة الفحص الشعاعي دليلاً على مسير الابهر (ورم ابهري) ، او ان يجد بالفحص الطبي علامات قد ترافق خناق الصدر كارتفاع الضغط او توسع حجم القلب . الا ان مثل هذه العلاقات تكون عند الكثيرين من المتقدمين بالسن دون ان يكونوا مصابين بعلة خناق الصدر، بل لو اتيج لطبيب فحص المصاب اثناء النوبة قد لا يجد عنده حتى في هذه الحالة علامات تدل على الخطر الذي يحدق بالمريض ، وهذا لا يلبث ان يلفظ انقاسه بعد دقائق معدودات .

وقد اهتم لهذا المرض العلماء والاطباء الاختصاصيون لكشف النقاب عن سره وكيفية تشخيصه فالتجأوا الى علم تحطيط القلب (Electro-cardiographie) واخذوا يسجلون الخطوط الكهربائية الصادرة عن قلب المصاب بهذه العلة اثناء النوبة وبعدها بواسطة جهاز خاص يدعى (Electrocardiographie) ، فوجدوا ان هناك علامات كهربائية خاصة تظهر في المخطط اثناء النوبة ، ولا تظهر بعد مرور النوبة ، الا اذا جرى الفحص بعد ان يطلب من المريض ان يقوم بحركات رياضية مجهدة من شأنها ان تزيد حاجة القلب الى الدم ، فيحصل الالم الصدري وتظهر علامات خناق الصدر الكهربائية في المخطط ، هذا اذا كان هناك تضيق او انسداد في الشرايين الاكليلية التي تحمل الدم الى عضلة القلب ، كما سبق القول .

شبهنا القلب بمحرك السيارة، وفاتنا ان نذكر ان محرك السيارة لا يقف اذا كانت السيارة تسير على مهل بالرغم من انسداد الانبوب الذي يحمل السائل قابل الاحتراق (البنزين) انسداداً جزئياً. اما اذا زاد السائق حركة المحرك مع وجود هذا الانسداد فتضطرب حركة المحرك او تفقد تماماً . كذلك القلب المصاب بانسداد في شرايينه المغذية فانه لا يتألم اذا كان المريض في حالة الراحة لان ما يأتيه من الدم بواسطة شرايينه الاكليلية كاف لتغذيته في هذه الحالة . اما اذا اجهد المرء قلبه - والقلب في حالة الجهد يحتاج الى كمية من الدم اكثر من الكمية التي يحتاج اليها في حالة الراحة - فلا تسمح الشرايين الاكليلية بسبب تضيقها او انسدادها الجزئي بمرور هذه الكمية الكبيرة من الدم فتضطرب حركته وتظهر اعراض نوبة خناق الصدر . واذا أُجري في هذه اللحظة الفحص

الكهربائي وجد الطيب علامات خاصة اذا اضافها الى حالة المريض والى كيفية حدوث النوبة السابقة واعراضها يستطيع اذ ذلك ان يشخص حالة مريضه المصاب بعلة خناق الصدر الوحيدة .

وليس تشخيص هذه العلة عند المريض اقل شأناً من الحكم عليه بالاعدام ، لكن بين الحالتين فرقاً هو ان تنفيذ الحكم بالاعدام يجدد ميعاده او هو قابل التجديد . اما الموت على اثر خناق الصدر فهو فجائي ويمكن في كل لحظة . وقد احتار الاطباء الاختصاصيون في وضع انذار (pronostic) لهذا المرض او وضع تحديد لمصير المصاب به وقد قال العالم الفرنسي « غالفاردين » (Gallavardin) في كتابه عن خناق الصدر : « ان طول حياة المصاب بهذا المرض هو من ثلاث ثوانٍ الى ثلاثين عاماً » ، اي ان الطيب لا يضمن حياة المصاب بهذه العلة الاكثر من ثلاث ثوانٍ فالموت الفجائي مثل سيف داموكلاس (Damoclès) مسلط دوماً فوق رأسه .

*

هذه نظرة موجزة عن اعراض علة خناق الصدر ولا مجال للتحدث هنا عن الخوف الذي ينتاب قلوب بعض الناس لاسيما العصبي المزاج عند كل حادثة من حوادث الوفاة بخناق الصدر ، اذ قد ينجيل لكل منهم انه مصاب بهذه العلة وقد لوحظ ان هؤلاء العصبيين يكثرون من مراجعة الاطباء بعد كل حادثة من حوادث الموت الفجائي مستوضحين عن سبب موت هذا الشخص حتى اذا ما قال لهم الطيب اسم المرض او بعض اعراضه اكدوا له انهم يشعرون بانفسهم بهذه الاعراض ، واخذوا يقنعونه بانهم مصابون بهذا المرض . وهنا تتجلى قدرة الطيب وتظهر خبرته فان كل كلمة

يتفوه بها عن هذه الحالة قد يفسرها المريض تفسيراً خاصاً . كذلك ارتباك الطبيب ، او سكوته ، لها عند المريض الضعيف الاعصاب معان خاصة تريدان المريض ، في كثير من الاحوال ، وسواساً وبلبله .

ولا بد هنا من الملاحظة الى ان العَرَض الاساسي في تشخيص خناق الصدر هو الألم في الناحية الصدرية بعد الجهد ، كما ان الألم في الناحية المعديّة بعد الطعام هو العَرَض الاساسي في تشخيص تقرح المعدة . ولكن كما ان آلاماً متنوعة تحصل بعد الطعام في الناحية المعديّة ولا يكون منشأها المعدة بل التهاب في كيس المرارة او سرطان في غدة البقرهاس ، كذلك آلام كثيرة قد تحصل في الناحية الصدرية دون ان يكون للقلب او لشرايينه علاقة بها وهناك مجموعة من الامراض لا مجال لسردها هنا قد تشبه اعراضها اعراض خناق الصدر ويطلق عليها الاطباء اسم خناق الصدر الكاذب .

وقبل ان نختم هذه الكلمة لا بد لنا من وصية نؤذيها للزملاء الاطباء الذين لم يتيسر لهم سماع وصايا علماء امراض القلب . وهي كلمة مأثورة الاستاذ العالم الفرنسي « لوبري » (Laubry) : « ان تعذر تشخيص مرض قلبي على طبيب ما ، افضل في كثير من الاحيان ان يشخص طبيب آخر هذا المرض وان تعطي للمريض نتيجة التشخيص » .

الكرسي الرسولي

وفلسطين المنكوبة

نكبت فلسطين فتشتت بنوها تحت كل سماء . والسعيد منهم من نجا بشيء من اتمته وامواله . ولجأوا الى البلاد العربية ينحشرون عائلات عائلات في بيوت او مساكن قلَّ ان تسع افراداً قلائل . يكفي ان نذكر ان بلدة الدامور وحدها تؤوي اليوم نحو مئتين وثلاثين عائلة من مدينة حيفا وحدها فضلاً عن لجأ اليها من غيرها . كذلك قرية جون قرب دير المخلص آوت نحو خمس مئة نفس اي ضعف اهليها الحاليين . والى دير المخلص والاديار التابعة له لجأ نحو من ثلاث مئة نفس ، منهم نحو سبعين يتيماً وفقيراً من الاولاد الذين بينهم من لم يبلغ السابعة من العمر . . .

وقد آلت هذه الحال قلب اي المؤمنين الحبر الاعظم فاراد ان يحمل تعزيات قلبه الابوي الكبير الى ابنائه المتشردين ، فكتب الى سفيره البايوي في لبنان ، سيادة الحبر الجليل الشيدو مارينا ، ان يتفقد عنه هؤلاء الابناء المنكوبين ، وينظر في احتياجاتهم ، ويسأل عن احوالهم . فنام السيد السفير الجليل يطوف في البلاد حاملاً بلسم التعزية والافتقاد باسم الاب الاقدس . في ٢٩ ايار اتى الى دير المخلص عن غير موعد . فزار اللاجئين فيه وزار مدرسته الرهبانية وسأل بالاخص عن فيها من ابنا فلسطين المنكوبة ، الذين ضمهم الدير الى تلامذته الداخلين لضيق المحلات . وذهب الى دير الراهبات للغاية نفسها . ولم كان تأثر قلبه بليغاً حينما شاهد الاطفال الفقراء

والايتام الذين وقف لهم دير المحلص كاهناً وثلاثاً من الراهبات وديراً خاصاً
للعناية بهم . ولم كان سروره شديداً عندما عرف ان نحو عشرين منهم
يقدمون قريباً الى التنازل الاول .

وذهب من الدير ومرّ في جون جارة الدير ، فافتقد اللاجئين فيها وقد
تألّبوا حوله ناسين مراثيم التي حلّوها الاب الاقدس ببادرة هذا الافتقاد
السامي والعطف الابوي .

وما مضت ايام قلائل على تلك الزيارة حتى ارسل سيادة السفير البابوي
بعض المساعدة التي رآها لازمة لحالة هؤلاء المنكوبين في جون والدير فكانت
التجزية عملية بتلك الزيارة والمساعدة .



✠ الطوباوية ماريّا جورتي شهيدة الطهارة ✠

كراسة باربع وستين صفحة صغيرة ، ترجمها عن الايطالية بتصرف حضرة الاب
لويس برسوم الفرنسيسكاني نطلع فيها على حياة بطلة في الايمان لم تتجاوز اثنتي عشرة
سنة (١٨٩٥ - ١٩٠٢) فضلت ان يهدر دمها بطعنات مديّة فاجر اثم الى ان تطاوعه
وتفقد زنيقة طهارتها .

انه لمثال جذاب تقدمه لشابات وشبان عصرنا الحاضر عصر الحرية والتمدن الزائف
المنظر ، علّمه يلقي في قلوبهم حب الصيانة والحشمة والنبالة وعزة النفس .

فيينا نحن نشكر حضرة الاب رافائيل عبود هديته الشريفة تمنى ان ينتشر هذا
الكتيب الصغير لتمام فوائده .

وهو يطلب من الاكابر يكية الفرنسيسكانية الشرقية بالجيزة بمصر .

نوطان على صدر حبرين

من اجبار طائفتنا

نوط « جوقه الشرف » على صدر المتروبوليت اغايوس نعوم

فاتنا ان نذكر فيما سبق ان الحكومة الفرنسية انعمت على سيادة الحبر
الجليل كيوريوس اغايوس نعوم متروبوليت صور الكلي الوقار بنوط « جوقه
الشرف » نظراً لما له من الخدم الجليلة الانسانية ، ولما يمتاز به من حب
السلامة والوفاق وجمع الكلمة ، والاخلاص في كل ذلك .

نوط « الاستحقاق اللبناني » على صدر المطران يوسف كلان

وبمناسبة اقامة اليوبيل الاسقفي الفضي لسيادة الحبر المفضل كيوريوس
يوسف كلان مطران طرابلس والنائب البطريركي على ابرشية بيروت حانياً
منحته الحكومة اللبنانية نوط الاستحقاق المذهب من الدرجة الاولى اقراراً
بما لسيادته من الفضل على الوطن العزيز .

« فالرسالة » تشترك مع ابرشيات الحبرين الجليلين مقدمة اخلاص تهاونها
وعواطف احترامها لسيادتها داعية لها بدوام تأييد النعمة وبكمال التوفيق
والعافية لحبر الكنيسة والنفوس .

اللجنة الجديدة للنادي الكاثوليكي

في دمشق

يوم الاثنين الواقع في ٣١ ايار اجتمع اعضاء النادي الكاثوليكي
الدمشقي بحضور الاب المرشد الحوري بطرس الحداد ب.م لانتخاب لجنة
النادي الجديدة كما ينص قانونهم الاساسي المصادق عليه من غبطة السيد
البطريرك . وقد تم الانتخاب في جو مشبع من روح التضامن والاخاء ،
وجاءت الانتخابات بالنتيجة الآتية :

رئيس النادي	الاستاذ جان عنجوري
نائب الرئيس ورئيس فرع المطعم الشعبي	السيد انطون بيهيت
امين السر العام	السيد صبحي خنشت
رئيس المكتب	السيد يوسف انطون الاشقر
خازن	السيد الياس شلهوب
محاسب	السيد انطون متري صعب
رئيس الفرع الثقافي	الدكتور امين دهب
رئيس الفرع الرياضي	السيد جوزيف شاهين
رئيس الفرع الداخلي	السيد الياس نقولا جناوي
رئيس فرع المستوصف	الدكتور جورج منير
رئيس فرع الحفلات والرحلات .	السيد حبيب شماس

فتتمنى للنادي كل الازدهار والتوفيق في عهد اللجنة الجديدة الفشيطة .

الرجاء من المشتركين الكرام ان يرجعوا في ما يخص الاشتراكات الى
وكلائنا الممينين وهذه اسماؤهم :

القاهرة : السيد نعم طاماز
بشارع الفجالة رقم ٦٤
بطريركية الروم الكاثوليك

الاسكندرية : الاب بولس الشاعر
بطريركية الروم الكاثوليك

المنصورة : الارشمندريت الياس بندر
الوكيل البطريكي

بطريركية الروم الكاثوليك
بور سعيد : السيد يوسف خليل داغر

شارع القسطنطينية رقم ٤
بغداد : السيد يوسف يعقوب مسكوني

خزانة كتب المجمع العلمي العراقي
وزارة المعارف (العراق)

الولايات المتحدة :

الارشمندريت بطرس ابو زيد ب م
298, Oak St. Lawrence Mass.
U. S. A.

البرازيل : السيد ميشال صباغ
45, rua Mat Deodoro, ap^{to} 48
Juiz de Fora, Minas

المكسيك : الاب فيلمون شامي ب م
Ap. 1900-1900 Mexico D. F.

صيدا : الاب اثناسيوس مشتف
بيروت : الاب اثناسيوس نصورة

المدرسة البطريركية
زحلة : الاب متري نعمة ب م

انطوش مار الياس المخلصية
البقاع الجنوبي : السيد الياس غطاس

مشغرة (البقاع الجنوبي)
صور : السيد انيس القبطي

جديدة مرجعيون : السيد عقل ظاهر
مطرائية الروم الكاثوليك

دمشق : الاب بطرس الحداد ب م
حارة الزيتون ، انطوش المخلصيين

حلب : الاب باسيلوس حجار
مطرائية الروم الكاثوليك

القدس وعكا وحيفا وتوابها :
السيد نقولا عصفور

حيفا ، ادارة البرق والهريد
شرقي الاردن :

الارشمندريت نعمة الله الغريب ب م
عمان ، مطرائية الروم الكاثوليك

بدل الاشتراك لسنة ١٩٤٨

٦٠٠ غ . ل . س .
٣٠ شلناً
٧ دولارات

في لبنان وسوريا
في مصر وفلسطين والعراق
في البلاد الاميركية

AR-RICALAT

AL-MOUKHALLISSAT

JUILLET N° 7

15^e ANNÉE 1948

SOMMAIRE

		Page
<i>La voix du pape</i>	P. I. Ghattas	481
<i>Oz-anam et le problème social</i>		489
<i>Le fait religieux: analyse psychologique</i>	P. I. Ghattas	499
<i>Les Franciscains à Damas</i>	M ^r . H. Sicuff	514
<i>L'Évangile surélève</i>		519
<i>Le Catholicisme dans le Sud Irakien</i>	M ^r . J. J. Maskouni	527
<i>La place de la Vierge Marie dans le rite byzantin</i>	L'Arch. M. Assaf	535
<i>Communisme et Impérialisme</i>	D ^r . Nazar Rida	540
<i>Le Nirvâna</i>	M ^e . P. Salamati	545
<i>La fluxion de poitrine</i>	D ^r G. Mcnaysar	550
<i>Le S. Siège et la Palestine</i>		557
<i>La bienheureuse Marie Teresa Goretti</i>		558
<i>Décorations</i>		559
<i>Le nouveau cercle Catholique de Damas</i>		560
<i>Varia : Le fervent croyant</i> 489 — <i>La religion et la vie</i>		513
<i>Le silence</i> 523 — <i>Le but de la vie</i>		544

ABONNEMENT

Liban & Syrie
Égypte - Palestine - Irak
Amérique

600 P. L. S.
20 Shil.
7 Dol.

IMPRIMERIE ST. SAUVEUR
SAIDA (LIBAN)